

كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل

تأليف
د. محمود محمد بابللي

السنة الثانية عشرة
جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ ـ العدد ١٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اللهم إني أستهديك لأرشد
أمري فزدني علماً ينفعني

المقدمة

- شريعة العدل والفضل.
- شريعة العدل .
- شريعة الفضل .
- شريعة العدل والفضل في العبادات .

المقدمة :

١- شريعة العدل والفضل

تمتاز الشريعة الإسلامية فيما تمتاز به بأنها تجمع بين العدل والفضل، وهما أصلان أو قاعدتان أساسيتان من قواعد هذه الشريعة الغراء، والفضل مقدم على العدل في هذه الشريعة، وذلك من باب الندب لما هو أحمد عاقبة . .

والعدل : هو التوسط بين شيئين بأن لا يحيف جانب على آخر، كالقسطاط المستقيم .

والفضل : هو الاحسان ، أو الزيادة على الواجب، أي تجاوز العدل إلى ماهو أفضل .

وللعدل آفاق واسعة في الحياة الإنسانية ، فهو ميزانها الحساس في كل جانب من جوانبها ، فإن اختل هذا الميزان ، أو جرى التلاعب في كفتيه ، فإن أثر ذلك سيظهر سريعاً في مجرى هذه الحياة .

وللفضل آثاره الطيبة في رأب الصدع ولحم الجراح وغسل الأسى المتبقي في النفوس على الرغم من تحقيق العدل بين الطرفين، لأنه الدليل على التسامح والتسامي إلى مكارم الأخلاق .

وقد حرم الله سبحانه الظلم وأوجب العدل وندب إلى الفضل

٢- شريعة العدل

إن العدالـة من القواعـد الحكيمة التي فـرضها الإسلام على أتبـاعه وحرص على أن يتخلقـوا بها، وليس ذلـك في الحكم فحسـب، وإنما في علاقة الفرد مـع نفسه، وعلاقته مع الآخرين.. حـاكماً كان أم محكوما، لأن العدل أساس الملك، وهو الذي تقوم عليه السماوات والأرض..

وقد ورد الأمر من الله سبحانه وتعالى في إقامة العدل بشكل مطلق، كما ورد الأمر منـه سبحانه وخاصـاً بولاة الأمور في أن يعدلـوا بين الناس، كما ورد الأمـر للمـؤمنين بـأن يعـدلـوا في أعمالهم وفي أقـوالهم وفي جميـع تصرفاتهم..

وهذه الأوامر. نجدها في عديد من الآيات القرآنية..

- فتلك التي تنـص على إقامة العدل بشكل مطلـق وردت في قوله تعالى في سورة النحل: **﴿إن الله يأمر بالعـدل والاحسان وإيتاء ذي القربي وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾** (الآية ٩٠).

وقوله تعالى في سورة الحديد: **﴿وأنزلنا الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾** (الآية ٢٥).

- وتلك التي تنص على إقامة العـدل في الحكم وردت في قوله تعالى في سورة الشـورى: **﴿وقـل آمنت بما أنـزل الله من كتـاب وأمرت لأعـدل**

ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ (الآية ١٥٢).

- وتلك التي تنص على إقامة العدل في التعامل وردت في قوله تعالى في سورة البقرة: **﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل.. إلى قوله تعالى: وليملل وليه بالعدل﴾** (الآية ٢٨٢).

وفي قوله تعالى في سورة الانعام: ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ (الآية ١٥٢).

- وتلك التي تنص على إقامة العدل بين طائفتين من المؤمنين يقتتلون وردت في قوله تعالى في سورة الحجرات: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله. فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾** (الآية ٩).

- وكذلك العدل بين الزوجات فيما إذا كنّ أكثر من واحدة ورد في قوله تعالى في سورة النساء:

﴿فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة﴾ (الآية ٣).

وغير ذلك من الآيات التي تأمر بإقامة العدل في القول والعمل والتصرف.. وهناك أحاديث عدة تحض على العدل وتحذّر من عواقب الجور ولو كان ذلك بالهبات لأولادنا..

ولابد من التذكير بالحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، من أن أول السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل.. وهذه الأولية تعني مايقابلها من التأخر والعقوبة فيما إذا جارت الأئمة على رعيتها ولم تخش الله فيهم..

والتخويف في تركه، واستحباب الفضل يقترن به الترغيب والتشويق إلى فعله، فذاك فيه رهبة مع مافيه من الرغبة، وهذا فيه رغبة بلا رهبة».

ومن الظلم الذي ينافي العدل، ولا تصح فيه المسامحة لأنه يدخل في باب أكل أموال الناس بالباطل ما أمر به رب العالمين من وجوب إيفاء الكيل والميزان بالقسط، والتحذير من بخس الناس أشياءهم.. ونشر الفساد في الأرض..

وإن أظلم الظلم الإشراك بالله سبحانه، وهذا ماحذر لقمان ابنه منه في وعظه له إذ قال: ﴿**يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**﴾ (سورة لقمان الآية ١٣)

وماجاء في قوله تعالى في سورة الانعام:

﴿**والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون**﴾ (الآية ١٥٠) أي يشركون به.

ولنقرأ قوله تعالى في سورة الزمر:

﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ (الآية ٥٣).

غير أن غفران الذنوب تشترط فيه الإنابة إلى الله والاستسلام له، واتباع ما أنزل الله على رسوله.. وأن الأعذار التي يتلمسها المسيء لاتجديه نفعاً إذا مابقي واستمر على ماكان عليه دون توبة صادقة وإنابة مخلصة..

وهذا ما أكده رب العالمين بقوله بعد هذه الآية السابقة:

﴿وأنيبوا إلى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون. واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون. أن تقول نفس ياحسرتى على مافرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين. أو تقول لو أنَّ الله هداني لكنت من المتقين. أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين﴾ (الآيات ٥٤/ ٥٧).

وأنه سبحانه، وله الأمر، يغفر لمن يشاء مايشاء، ولكنه حذّر من الشرك به وانه لايغفره أبداً، وهذا مانطقت به الآية التالية من سورة النساء:

﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾ (الآية ٤٨).

وإنني أقدم فيما يلي عدداً من الآيات التي تجمع بين العدل والفضل، أي أنها تشترط العدل ثم تندب إلى الفضل وذلك في مثل قوله

وهو سبحانه دائماً يحرم الظلم ويـوجب العدل ويندب إلى الفضل، كما في آخر سورة البقرة لما ذكر حكم الأموال.

والناس فيها إما محسن، وإما عادل، وإما ظالم.

فالمحسـن المتصدق، والعـادل المعاوض بـالبيع والهديـة فتقديمهـا بدءاً فضـل ورد مثلها عدل والـزيادة عليهـا فضل والظالم كـالمرابي، فبدأ بالاحسان والصدقة ترغيباً وحضاً على فعل الخيرات فقال تبارك وتعالى:

﴿مثل الـذين ينفقـون أموالهم في سبيل الله كمثـل حبة أنبتـت سبع سنابـل في كل سنبلة مئة حبـة والله يضاعف لمن يشاء والله واسـع عليم﴾ (الآية ٢٦١ من سورة البقرة).

ثـم بين سبحانـه حلّ المعـاوضات فقـال **﴿وأحـل الله البيع وحـرم الربا﴾** (الآية ٢٧٥) وقـد وردت هذه الآية ضمـن قولـه تعالى: **﴿الذين يأكلون الربـا لايقومون إلاكما يقوم الذي يتخبطه الشيطـان من المس ذلك بأنهم قـالوا إنما البيـع مثل الـربا وأحـل الله البيع وحـرم الربـا فمن جـاءه مـوعظة مـن ربـه فانتهـى فله مـاسلـف وأمره إلى الله ومـن عـاد فأولئـك أصحاب النارهم فيهـا خالدون. يمحق الله الربا ويـربي الصدقات والله لايحب كل كفارأثيم﴾** (الآيتان ٢٧٥/ ٢٧٦ من سورة البقرة).

وهكذا قرن بين العدل في المبايعات والظلم في الربويات وشدد على الثانية تشديـداً لانظيرله في غيرها من المحرمات فقـال سبحانه: **﴿فإن لم تفعلـوا فأذنـوا بحـرب من الله ورسـوله وان تبتـم فلكـم رؤوس أموالكـم لاتَظْلِمون ولاتُظْلَمون﴾** (الآية ٢٧٩ سورة البقرة).

فهذه الأمثلة وكثيرأمثالها تعطـي المتتبع لها والمتبصرفي مدلولها اليقين من أن هذه الشريعـة هي شريعة العدل والفضـل على السواء وأنه لا مثيل لها في الانتصاف وفي المسامحة.

١- الوضوء:

إن الوضوء هو مفتاح الصلاة، ولا يقبل الله صلاة بغير طهور، فهو من مستلزمات الصلاة، أي أن أداء هذه العبادة لا يتحقق إلا بسبق الوضوء، فهو من هذه الناحية عدل لا فضل فيه للمسلم مادامت صلاته مرتبطة به.

غير أن المحافظة على الوضوء ما بين الصلوات يدخل في باب الفضل لقوله ﷺ:

«**ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**» (رواه مالك وأحمد).

فمن العدل ان تتوضأ لكل صلاة، أو تكون متوضئاً عند أداء الصلاة، أما المحافظة على الوضوء خلال اليوم كله وقبيل النوم، فإنه من أبواب الفضل، لأن المتوضيء يكون على استعداد لأداء مايفاجئه من صلوات، كالصلاة على الميت مثلاً أو استلام مصحف أو غير ذلك من الأمور التي يستحسن أن يكون الإنسان فيها على طهارة، وكذلك إذا مامات الإنسان وهو متوضيء فإنه يموت على طهارة، فيكون ذلك أفضل له.

وبذلك تكون المحافظة على الوضوء هي من باب الأخذ بالأفضل على مختلف الحالات، وهي تربية للمسلم في أن يكون مستعداً لأداء الطاعات وتجنب المزالق الشيطانية.

فالوضوء سلاح للمؤمن مادام محافظاً عليه.

٣- باقي الفرائض:[١]

إن النوافل (أي الزيادة في التقرب إلى الله سبحانه) لاتقتصر على الصلاة، وإنما هي واردة في جميع الفرائض- زكاة وصياماً وحجاً-، وان التقرب بها إلى الله سبحانه لايبغي بها فاعلها إلا وجه ربه، يرفع شأن العبد عند الله، ويشمله ماورد في الحديث القدسي الذي رواه الامام البخاري عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال:

«إن الله قال: من عادى لي ولياً آذنته بالحرب، وماتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ومايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصربه، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته».

إن هذا الحديث لايقتصر على نوافل الصلاة، وإنما يشمل كل تقرب إلى الله غير مفروض على المسلم من صلاة أو صدقة أو صيام أو حج..

وقد أورد الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث الأقوال التالية:[٢]

قال الطوفي:

«الأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة. بخلاف النفل في

---

(١) أفردنا بحثاً للزكاة التي هي من أبواب العدل، كما أفردنا بحثاً للتطوع بالصدقات ومنها (الصدقة الجارية) التي هي من أبواب الفضل).

(٢) من كتاب (فيض الباري شرح صحيح البخاري) ج١١ ص٣٤٣.

الباب الأول:
الشريعة العدل

ويتضمن البحوث التالية:

البحث الأول : الشريعة في الإسلام.

البحث الثاني: محاسن الشريعة.

البحث الثالث: العدل في الشريعة.

البحث الرابع: العدالة في توزيع الميراث.

البحث الخامس: العدل والتوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع.

البحث السادس: عدالة فريضة الزكاة.

البحث الأول :

الشريعة في الإسلام

١- الشريعة لغة:

مشرعـة الماء وهو مـورد الشاربـة[١]، وهي مـا شرع الله لعباده مـن الدين .

فالشريعة : ما سنّ الله من الديـن وأمر به ، كالصوم والصلاة والحج والزكاة . . وسائر أعمال البر، وقد شرع لهم يشرع شرعاً : أي سنّ .

قال الله تبارك وتعالى :

﴿**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها**﴾ (سورة الجاثية ١٨)

أي جعلناك على دين وملة ومنهاج .

والشرعة : الشريعة . ومنه قوله تعالى :

﴿**لكلٍ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً**﴾ (سورة المائدة الآية ٤٨)

أي سبيلا وسنة وطريقة واضحة .

وقوله تعالى :

﴿**شرع لكم من الـدين ماوصى بـه نوحاً والذي أوحينـا إليك . .**﴾

---

(١) وإنما سميت بـذلك لـوضوحهـا وظهورهـا ، ولأخذ النـاس منها حظـوظهم تشبيهـاً لها بمورد الناس للاستقاء .

٣- من هو المشرع :

ينفرد الإسلام عن غيره في أن المشرّع فيه هو الله سبحانه وتعالى، وان أحكامـه أجملها في كتـابه الكـريم الـذي أنزلـه على نبيه محمـد ﷺ هدى للنـاس وبينـات من الهدى والفـرقـان ليكـون للعـالمين نذيـراً، وأمـر الله سبحانه نبيه المصطفى بأن يبين للناس مانـزل إليهم، وجعل طاعة رسوله في ذلك طاعة لـه، وخصه بطاعة مستقلة عن طاعتـه سبحانه، وداخلة في شمولها، فهما طـاعتان لمسمـىّ واحد هـي طاعـة الله سبحانـه وتعالى لقوله تبارك وتعالى :

﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (سورة النساء الآية ٨٠).

ولقوله سبحانه أيضاً :

﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تـولوا فإنما عليه ماحمل وعليكم مـاحملتم وإن تطيعـوه تهتدوا ومـا على الـرسول إلا البـلاغ المبين﴾ (سورة الفرقان الآية ٥٤).

وقد ورد التحذير من مخالفة الرسول في قول الله سبحانه :

﴿فليحـذر الذيـن يخالفـون عن أمـره أن تصيبهـم فتنة أو يصيبهـم عذاب أليم﴾ (سورة النور الآية ٦٣).

فطاعة الرسول ﷺ طاعـة مستقلة أيضاً وهي واجبة على المسلمين، كطاعة الله سبحانه لاقترانها في أكثر من آية بطاعة الله.

فهو ﷺ يحل ويحرم بتحليل الله وتحريمه، لقوله جل وعلا :

فللرسول صلوات الله وسلامه عليه- صفة التبليغ عن ربه، وسلطة تبيان أحكام القرآن وتفصيلها، فهو بهذه الصفة لا يشاركه فيها أحد مطلقاً لأنه الرسول المصطفى من الله لتبليغ رسالته للناس كافة.

غير أن للرسول - صلوات الله عليه- صفة أخرى غير صفة النبوة، إنه وليّ أمر المسلمين طوال حياته بعد البعثة، فهو بهذه الصفة كان يضع للمسلمين أحكاماً ليست بمرتبة الوحي القرآني، وإنما هي أوامر ونواه ترتبط بها مصالح المسلمين، وهي واجبة النفاذ عليهم، لأنها تصدر عن ولي أمرٍ تجب طاعته على المسلمين بهذه الصفة، لقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (سورة النساء الآية٥٩).

فللرسول ﷺ هنا طاعة مستقلة عن طاعة الله، وإن طاعة أولي الأمر داخلة في شمول طاعة الله وطاعة رسوله.

وإذا كان الرسول ﷺ وليّ أمر المسلمين فله بهذه الصفة طاعة أخرى تدخل في شمول طاعة الله سبحانه، ولهذا صدر الأمر من الله تعالى إليه- وهو بصفة وليّ أمر المسلمين- بأن يشاورهم بالأمر، ولو لم تكن له هذه الصفة لما صدر له مثل هذا الأمر. لأن طاعته بالتبليغ عن ربه واجبة لا ريب فيها ولا تحتاج إلى مشاورة المسلمين في إقرارها أو تغيير شيء منها.

والأمثلة على وجوب امتثال أوامر الرسول ﷺ غير القرآنية والتي تدخل ضمن شمول صفته كوليّ أمر كثيرة، ونقتصر على إيراد بعض منها.

(د) أن يكون عرض الطريق في حال التنازع عليه لا أقل من سبعة أذرع[1]. وإذا اقتضت المصلحة الزيادة في عرضه كان لهم ذلك.

وهذا أمر إداري يدخل في شمول تخطيط المدن..

وإلى غير ذلك من الأمور المماثلة التي تصدر عن وليّ الأمر بما تقتضيه مصلحة الأمة.

وهذه الأوامر لا تخرج عن كونها تشريعاً ملزماً لمن صدرت لمصلحته، واجبة النفاذ، ما لم تقض المصلحة إلغاءها أو استبدالها بغيرها.

٥- الفرق بين الرسول من حيث كونه وليّ أمر وبين من خلفه في هذه الصفة:

إن ما يصدر عن الرسول ﷺ بصفته وليّ أمر الأمة مسدد من الله سبحانه، لأنه سبحانه ماكان ليقرّ أمراً يصدر عن الرسول يتعارض مع الحكمة الإلهية.

ولهذا نجد في القرآن العظيم آيات كريمة تتضمن عتاباً له ﷺ في أمور صدرت عنه في معرض الاجتهاد، ولا دخل فيها للوحي. مثل قضية الأسرى قبل الإثخان في الأرض[2]. وقضية الأعمى الذي لم يستجب له الرسول ﷺ وبقي منصرفاً عنه في محاولة كسب بعض

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قضى النبي ﷺ إذا تشاجروا في الطريق الميتاء (التي يطرقها الناس) بسبعة أذرع». رواه الامام البخاري.

(٢) لقوله تعالى: ﴿ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ (سورة الأنفال الآيتان ٦٧/ ٦٨).

بـالرجـوع إلى مصادرهـا إمـا عن طـريقهـم مباشرة، فيما إذا كـانوا أهـلاً لذلك، أو عن طريق العلماء المشهود لهم بالكفاءة والتقوى.

٦- صـفة مايصدر عن ولاة الأمر لرعاياهم:

إن طـاعة ولي الأمـر في الإسلام واجبـة مـادامت تـدخل في شمـول طاعة الله وطاعة رسوله ولا تخرج عنهما.

وهذا ماعبر عنه أول خليفة لرسول الله ﷺ في أول خطبة له:

«أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيـت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

وهذا لسان حال باقي الخلفاء الراشدين المهديين رضوان الله عليهم أجمعين.

وان لنا في كثير من تصرفات هؤلاء الخلفاء مـايساعدنا على القول من أن لـوليّ الأمر أن يصـدر مـن الأوامر مـاتقتضيـه مصلحـة الأمة ويصبـح تشريعاً ملـزماً لها، مالم ترد مصلحـة راجحة تعدل في بعضها أو تـوقفه أو تلغيه..

ومـن هـذه الأوامر مـايعتبر نفـاذه مستمـراً باستمـرار دوام الإسـلام والأمثلة على ذلك:

١ - أمر أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن في مصحف واحد.

البشر من ضعف إنساني، أو جنوح عن الجادة لسبب من الأسباب.

ولهذا وضع الإسلام لأفراده قواعد وضوابط تقيهم هذه التقلبات ماعملوا بها، وهي مراقبة تصرفات أولياء أمورهم ووزنها بميزان الشرع.

فإذا ما استقاموا عليه استمروا في تأييدهم والعون لهم أو نبهوهم إلى مايجدون في هذه التصرفات من مجانبةٍ صريحةٍ لقواعد الشرع الحكيم.

وهذا لا يصح صدوره إلا عن علماء متمكنين من أمور الدين، ولهم غيرتهم الصادقة وسلوكهم المستقيم، ولم يجرب عليهم من قبل مايسيء إلى سمعتهم ومكانتهم.

وهؤلاء هم العلماء القادرون على فهم دقائق الأمور واستنباطها، وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، أي هم ذوو البصيرة النافذة بأحكام الشريعة ومصالح الأمة.

وقد سبق لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ان قال:

«إنكم تقرأون هذه الآية من كتاب الله: ﴿**ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾ (سورة المائدة الآية ١٠٥).

﴿**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**﴾(رواه أصحاب السنن).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدة أساسية من قواعد الدين الإسلامي، وهي التي ميّز بها رب العالمين هذه الأمة بقوله:

﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ (سورة آل عمران الآية ١١٠).

وإذا ما استمر تطبيق هذه القاعدة ضمن حدود الأمر بالمعروف

البحث الثاني :

من أبواب هذا البحث :

محاسن الشريعة

- العلم بالشريعة .
- مقاصد الشريعة .
- مصدر الشريعة .
- اختلاف الشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية.
- من خصائص الشريعة .
- المعاملات في الشريعة .

البحث الثاني :

محاسن الشريعة

١- العلم بالشريعة :

سبق أن ذكرنا أن الشريعة تعني : ماشرع الله لعباده من الدين، أي ما سنّ لهم من قواعد وأصول في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، ونظم الحياة في مختلف شؤونها امتثالاً واجتناباً وتوجيهاً . .

فالشريعة الإسلامية هي مجموعة الأوامر والأحكام الاعتقادية والعملية التي أوجب الإسلام تطبيقها والالتزام بها لتحقيق أهدافه الإصلاحية في المجتمع الإنساني قاطبة .

وان المشرع هو الله سبحانه، وانه الخالق الأوحد لهذا الكون بما فيه من مخلوقات، ومن أبرزها الإنسان، وان الغرض من هذا الخلق هو عبادة الله سبحانه وتمجيده، وان الوصول إلى تحقيق هذا الغرض هو العلم الذي أمرنا الله به في قوله مخاطباً رسوله الكريم :

﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾ (سورة محمد الآية ٩) .

وبذلك يكون العلم في الإسلام هو الوسيلة لتحقيق الغاية الكبرى، وهي افراد الله سبحانه بالعبودية والاخلاص له فيها .

وهي خاتمة الشرائع الالهية لأنها جاءت لتخاطب العقل الإنساني بعيداً عن المعجزات التي كانت تأتي مؤيدة لرسالات الأنبياء قبل محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام، وهي المعجزة الوحيدة الثابتة على التفكر والتدبر والنظر في النفس الإنسانية وفي سائر ما خلق الله في هذا الكون العظيم العجيب، وأن ذلك لا يتحقق إلا بالعلم والتعرف على سنن الله سبحانه في خلقه.

٢- مقاصد الشريعة:

للشريعة الإسلامية ثلاثة مقاصد أساسية متتابعة، كل منها نتيجة لما قبله وأساس لما بعده، وهي:

أولاً: تحرير العقل البشري:

أي تحريره من رق التقليد والخرافات، وذلك عن طريق العقيدة والإيمان بالله وحده، وتوجيه العقل نحو الدليل والبرهان والتفكير العلمي الحر، ولذا كافح الإسلام عبادة غير الله في شتى صورها لأنها انحطاط في العقل وعماوة في البصيرة.

ثانياً: إصلاح الفرد:

إصلاحاً نفسياً وخلقياً، وتوجيهه نحو الخير والإحسان والواجب كي لا تطغى شهواته ومطامعه على عقله وواجباته، وذلك بممارسة الفرد

النواحي الثلاث، أو يساء تطبيقها، فتظهر مشوهة[1].

فالدين الإسلامي، ليس دين تعبد فقط، وإنما هو دين حياة، يحقق التوازن بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسم، وإن التشريع الوارد في هذا الدين هو جماع الأمرين المذكورين، دون تفريط أو افراط في مصلحة أحد الجانبين على حساب الآخر.

٣- مصدر الشريعة :

إن مصدر الشريعة الإسلامية مصدر إلهي، نزل به الروح الأمين جبريل، على قلب محمد رسول رب العالمين، ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، وتبياناً لكل شيء وهدى ورحمة.

فالشريعة الإسلامية مصدرها الله سبحانه وتعالى، وهي تتضمن الأمر إلى الرسول ليبين للناس ما نُزِّل إليهم، وليحكم فيهم بما أراه الله، كما تتضمن الأمر إلى المؤمنين بأن يطيعوا الرسول وأن يأخذوا ما آتاهم، وينتهوا عما نهاهم.

فللشريعة الإسلامية مصدران أساسيان هما :

كتاب الله، وسنّة رسوله.

(أ) أما الكتاب :

وهو القرآن، فإنه الأصل في الشريعة الإسلامية لأنه يتضمن أسسها ويوضح معالمها في العقائد تفصيلاً وفي العبادات والحقوق إجمالاً.

(١) انظر كتاب (الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد) للأستاذ مصطفى الزرقا ج١ ص٣١.

وقواعده العامة، حتى فيما تقرره من الأحكام التي لم يرد ذكرها في القرآن، فمرجع السنة في الحقيقة إلى نصوص القرآن وقواعده العامة[١].

٤- اختلاف الشريعة الإسلامية عن التشريع الوضعي :

إن التشريع الإسلامي هو تشريع رباني، وضعه خالق البشر، العارف بطبائعهم، والخبير بما هم في حاجة إليه، وهو وحي واجب الاتباع، لا سبيل إلى تغييره من أحد مهما كانت سلطته، والنبي مع تفويض الله له بحق التشريع ابتداء، فيما تقتضيه مصلحة الأمة لا يخرج عن هذا الوحي لقوله تعالى على لسان نبيه في القرآن الكريم: ﴿**إن أتّبع إلّا ما يوحى إليّ**﴾.

كما أن النبي - ﷺ - لا يحكم بين الناس إلا بما أراه الله، لقوله تعالى: ﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾.

فهو تشريع منزه عن التلاعب والأهواء.

أما التشريع الوضعي، فإن الذين يضعونه بشر، يتأثرون بما يتأثر به أفراد البشر من أهواء ونزعات وعواطف بشرية، فيقعون تحت تأثير هذه العوامل التي قد تبعدهم عن التزام الحق والعدل، لهم أو عليهم، وتقدير المصلحة العامة للفرد وللمجتمع على السواء[٢].

---

(١) الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد ج١ ص٦٣.
(٢) لمحة من تاريخ التشريع الإسلامي للأستاذ مناع القطان. بحث منشور له في مجموعة محاضرات العالم الإسلامي عام ١٣٨٦ ص٢١٢.

إن الأحكام التكليفية في الشريعة الإسلامية جاءت شاملة لشؤون الحياة كلها، في العقيدة وما يتصل بها من عالم الغيب، وفي العبادات وكيفيتها وتفصيلها، وفي المعاملات اللازمة لحياة الجماعة في تبادل المنافع، وفي حياة الأسرة وواجبات كل من الراعي والرعية، وفي القضايا المالية والاقتصادية والإدارية، وفي حالات الحرب والسلم والعلاقات الدولية، وفي الحياة الخاصة للفرد بالأكل والشرب، واللباس والكلام ونحو ذلك.

فما من ناحية من هذه النواحي إلا وتناولتها الشريعة الإسلامية في القرآن والسنة، بالنص أو المعنى وأوضحت فيها الخير والشر، والطيب والخبيث والصحيح والفاسد، في صورة كاملة محكمة، لنظام الحياة في الإسلام، الذي يجب أن يقوم على فعل الحسنات وتجنب السيئات والعمل على استئصالها.

وثانيهما: كلية الشريعة:

إن هذه الشريعة كل لا يقبل التجزئة، فهذا المنهج التشريعي لفروع الحياة الإنسانية بكافة صورها، يمثل وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة، هذه الوحدة التي تسمى إسلاماً، فلا يجوز أن يأخذ الناس بعض هذه الشريعة دون بعض، لأنّ جوانبها المختلفة تكون بمجموعها دين الله، وإن الأخذ بجزء دون آخر يخل بهذه الشريعة ويشوه حقيقتها. والمجتمعات التي تنتسب إلى االإسلام وتعمل بجانب منه، وتترك جوانب أخرى، لا يتحمل الإسلام أوزارها ومفاسدها.

فالإسلام: عقيدة وعبادة، وخلق وتشريع، ومصنع وحقل، وقلم وسيف.. أي هو كل ما تقتضيه موجبات الحياة الحرة العزيزة، مصداقاً

يسير الناس على هديها، ويبصرون بها عثرات الطريق، ثم هم بعد هذا وشأنهم، يذهبون كل مذهب يرون فيه مصلحتهم.

وقد جاءت الشريعة بالنسبة للمعاملات وغيرها من شؤون الحياة باليسر في التعاقد والارتباطات، وبخاصة في الأمور التجارية، وحضّت على التمسك بالآداب الحسنة وحرّمت من المعاملات مافيه ضرر، وأوجبت مالابد منه، واستحبت مافيه مصلحة راجحة.

لأن هذه المعاملات لا تخرج عن كونها عادات تعارف عليها الناس، الأصل فيها الإباحة، وعدم الحظر، إلا ما تحقق ضرره، فإن علة تحريمه تعود إلى تحقيق الضرر فيه أو غلبة الضرر عليه.

وهذه المعاملات تحكمها العقود، أي شروط المتعاقدين، مالم تكن شروطاً أحلت حراماً، أو حرمت حلالاً، فإن هذه الشروط لاتكون معتبرة لقول الرسول الكريم:

«**مابال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، ماكان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن شرط مئة شرط، كتاب الله أحق وشرط الله أوثق**».

وورد في كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه- الخليفة الثاني- الذي كتبه لعامله أبي موسى الأشعري «**المسلمون عند شروطهم، إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً**»

ولهذا اتفق العلماء على ان من شرط في عقد من العقود شرطاً ينافي أو يناقض حكم الله أو حكم رسوله فهو باطل. أما غير ذلك من الشروط المقصودة من أحد الطرفين فلا مانع منها، وتعتبر لازمة إذا تم الاتفاق عليها.

البحث الثالث :

العدل في الشريعة

قامت الشريعة الإسلامية على العدل الذي هو الانصاف وإعطاء الحق، وصدق الموازنة بين الطرفين، ويكون مع النفس ومع الآخرين، ومع الحيوان ومع الصديق والعدو. .

فالإسلام يدعو إلى تطبيق العدالة مع كل إنسان حتى مع الحيوان.

فالعدل مع النفس: أن تحسن إليها بما يجعل منها نفساً رضية مطمئنة، وأن تحول بينها وبين مايشينها، وأن لا تكون سبباً في هلاكها، بأن تسلك مسلكاً يؤدي بها إلى الخسران في الدنيا والآخرة.

والعدل مع الآخرين : أن تصدق في التعامل معهم، وأن تبذل لهم النصيحة، وأن لا تسيء إلى أحد منهم بقول أو فعل، لا في سر أو علن، وان تنصفهم من نفسك، وأن لا ترى لك عليهم أي فضل، وأن تقبل من محسنهم وتصبر على مايصيبك منهم. .

والعدل مع الحيوان: أن لا تعذبه ولا تمنع عنه غذاءه وشرابه، وأن لا تقتر عليه فيه وأنت قادر على كفايته، وأن لا تحمل عليه فوق طاقته، وإذا كان مما يذبح، أن تريحه قبل ذبحه، فتسقيه الماء مثلاً، وان تحسن ذبحه فتحد الشفرة، وأن لا تأتيه من قبل عينيه. أو أن تذبحه في حضرة غيره من الحيوان وهو يرى. . وإذا كان مما تحفظه في بيتك أو في قفص كالهر أو

به وقـوامين عليه، لا يـأخذهـم في تحقيق ذلـك لومـة لائم، وأن لا يكون حرصهـم على ذلك رياء للنـاس أو طلباً لحسـن السمعة بل يكـون ذلك خالصاً له سبحانه، لأنه خبيربخفايا النفوس.

وأن لا تحملهم عداوة قـوم على ترك العدل معهم، ومعـاملتهم بغير الحق، أو أن يشهـدوا ضـد أحـد منهـم شهـادة زور، لأن الله سبحـانـه يحاسب على ذلك حسـاباً شديداً، حيـث أمر بالعدل وأنـه أقرب لتقواه، أي لاتقاء عقوبته يوم القيامة، فهو الخبير بما يصنعون.

ويقول سبحانه:

﴿يـا أيها الذيـن آمنـوا كـونوا قـوامين بـالقسـط شهداء لله ولـو على أنفسكـم أو الوالـديـن والأقربين إن يكـن غنيـاً أو فقيراً فالله أولى بهما فـلا تتبعـوا الهوى أن تعـدلـوا وان تلـووا أو تعرضـوا فـإن الله كـان بما تعملـون خبيرا﴾ (من سورة النساء الآية ١٣٥).

إن الشهـادة على النفـس هـي الإقـرار بالحقـوق عليهـا، وكـذلـك الشهادة بـالحق ولو كـان المشهود عليـه أحد الـوالديـن أو الأقربين، مهما كان وضعـه، غنياً أو فقيراً، لأن الغنـي لا يوجـب شهادة الحق لصـاحبه وهو مبطـل، وكذلك الفقر، لا يمنـع شهادة الحق له ولو كـان فقيراً مادام محقاً..

وحذرنا سبحانه من أن نتبـع الهوى - في الشهادة لمن نحب ضد من لا نحـب - خـلافـاً لما تقضي بـه العـدالـة، لأن الهوى سبيلـه التردي في ارتكاب الظلم، أو أن نعـرض عن الحق ونميل إلى من نهوى ولـو كان غير محق، وأكد سبحانه على وجوب اتباع الحق والأخذ بالعدل دون غيره.

«العلماء ورثـة الأنبياء، وإن الأنبيـاء لم يـورثوا درهماً ولا دينـاراً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر).

والميراث أو الإرث: نظـام مالي يتعلـق بتوزيـع تركـة الميت على مـن يستحقها مـن أقربـائه الأحياء، بعد سـداد الحقوق المترتبـة على الميت في حياته.

وهـو نظـام دقيـق يقـوم على مبـدأ الغنـم بـالغـرم، أي ان الـذيـن يستحقون مـن تركـة الميت بعـد وفاتـه ملزمـون بنفقته في حيـاته إن كـان معسراً، الأقرب فالأقرب.

والارث لا يتحقـق إلا بعـد خلاص التركـة مـن حقـوق الغير، بما في ذلك تجهيز الميت وتكفينه، ومن ثم الدين.

والورثـة لا يلزمون بـدين مورثهـم، إن لم يبق شيئاً، إلا أن يتطـوعوا بسداده إنقاذاً لنفس مورثهم لقوله ﷺ:

«نفس المؤمن معلقـة بدينه حتى يقضـى عنه» (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه).

ومـا كان عليـه الصلاة والسـلام يصلي على ميـت عليه ديـن، إن لم يترك وفاء لـه أو يضمنه عنه شخـص آخر، حتى وجـد الوفر في بيـت مال المسلمين.

«عن أبي هـريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ كان يـؤتى بالـرجل المتوفي عليـه الدين، فيسأل: هـل ترك لدينـه فضلاً؟ فإن حُدّث أنـه ترك وفاء صلى، وإلا قال للمسلمين: صلوا على صاحبكم، فلما فتح الله عليه الفتوح قال:

«أنا أولى بـالمؤمنين من أنفسهـم، فمن تـوفي من المؤمنين فترك دينـاً

إذا كان للميت فرع وارث .

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد أعطت الرجل في بعض الحالات ضعف حظ الأنثى ، ذلك لأن الرجل في النظام المالي الإسلامي يتحمل من الأعباء المالية ما لا تتحمله الأنثى ، فهو الذي ينفق عليها وعلى أولاده منها وعلى أبويه ، وقرابته الأدنين ، إن كانوا فقراء ، لأن نفقة كل إنسان من ماله الخاص إن كان له مال ، إلا الزوجة فنفقتها على زوجها ولو كانت غنية .

والرجل ملزم بدفع المهر للمرأة ، والإنفاق عليها طوال حياتها الزوجية .

وإن نظام الارث في الشريعة الإسلامية يقوم على توزيع التركة بين الورثة وعدم حصرها في رجل واحد كما هو شأن بعض الأمم سابقاً ولاحقاً .

وهو نظام يتوخى العدالة في إعطاء كل ذي حق حقه ، ومبني على مبدأ التكافل بين أفراد المجتمع ، لأن الفقير له حق على قريبه الغني ، كما له حق على مجتمعه في حال عدم وجود قريب له غني ، لديه الاستطاعة في تقديم معاش إلى قريبه الفقير يقيه مذلة السؤال .

وإن مبدأ التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية مبدأ إلزامي يجب على المستطيع تجاه أخيه المحروم ، أو المقتر عليه في الرزق ، وليس فيه منّة أو تفضل .

أما التصدق تطوعاً ، فهو من أبواب الفضل الذي سيرد معنا في أبواب الفضل من هذا الكتاب .

البحث الخامس :

العــــدل
أو
التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع

إن الفـرد هو لبنـة من لبنـات المجتمع ، ومنـه ومن أمثـاله يتشكـل المجتمع ، وإن في صـلاح هذا الفرد صـلاحاً للمجتمع ، فمـن مصلحة المجتمع أن يكون أفـراده أقوياء أصحاء متعلمين ، متعـاونين . . إلى آخر ما هنـالك مـن صفات الصـلاح التي يجب أن يتحلى بها الفـرد لينعكس بتصرفاته وأعماله الصالحة على المجتمع .

ولهذا فإن مصلحـة المجتمع تتعلق وتُبنى على مصلحـة الفرد ، وإن تقـوية الفـرد وإعداده إعـداداً متكامـلاً يعود ذلـك كله على المجتمـع ، وكذلك العكس ، فإن ضعف الفرد يؤثر على المجتمع . وإن من مصلحة المجتمع العناية والرعاية لأفـراده ، وعدم التهاون في إصلاح أمورهم ، لأن في إصلاحهـا إصلاحـاً لأمور المجتمع كلـه ، وإن من أبـرز العوامـل التي تـوجد الاستقـرار في المجتمـع أن يسـود العدل بين أفـراده ، وإن طغيـان مصلحـة الفــرد على غيره ، هـو طغيـان في الحقيقــة على مجتمعـه ، وإن سكوت هذا المجتمع على طغيان هذا الفـرد هو بداية المرض الذي يتسرب إلى جسم الأمـة فيودي بحيـاتها ، لأنها تهاونت في درء الخطـر عن نفسهـا

فإذا انعدم وجود الآمـرين بالمعروف والناهين عن المنكـر، فقد تُودّع من هذه الأمة .

وإن هذه الآية المستشهـد بها من سورة آل عمران تعقبهـا بعد ست آيات آية يقول فيها رب العالمين : ﴿**كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهـون عن المنكر وتؤمنـون بالله**﴾ (الآية ١١٠ ، بعـد أن قال : ﴿**ولتكن منكم أمة**﴾ . . الآية . .

إن هذا القـول التعميمي مـن الله سبحانه بـأنهم خير أمة أخـرجت للناس ، كـان ذلك لالتـزامهم جميعهـم بهذه الصفة الإيمانيـة العظمى ، التي بسببها كانـوا خير أمة أخرجت للناس ، صفة الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكـر . . فكانـوا يأتمرون بـالمعروف ويـأمرون ، وينتهـون عن المنكـر وينهون ، ولا يقرون منكراً بين ظهرانيهم . .

حتى أن بعضهم كان إذا بايعه الرسول ﷺ بايعه على النصح لكل مسلم .

إن هذه الصفات الإيمانية التي كانـت غالبة على هذا الجيل المثالي ، الذي هو سلف هذه الأمـة وقدوتها ، وسجلها لهم رب العالمين في كثير من آيات كتابه العزيز، فقال عنهم في سورة الأنفال :

﴿**والذيـن آمنوا وهاجروا وجـاهدوا في سبيل الله والـذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة وأجر كريم**﴾ (الآية ٧٤) .

فقد جمع سبحانه بين المهاجريـن والأنصار وهم السابقون الأولون ، وشهد لهم بـأنهم المؤمنون حقاً ، وهل بعـد هذه الشهادة من الله سبحـانه من وصف أعظم منه؟

وإن من أبرز صفات المؤمنين : أنهم رحماء بينهم ، وأنهم يؤثرون على أنفسهـم ولـو كانـت بهم خصـاصـة ، وأنهم يطعمون الطعـام على حبـه

ولما توفي رسول الله ﷺ ارتدت بعض القبائل العربية عن الإسلام، وامتنع بعض منها عن أداء الزكاة مع إقرارها بالشهادتين وأقام الصلاة. . فلم يقبل منهم ذلك أبوبكر رضي الله عنه، وأصر على محاربتهم إن لم يؤدوها كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله، لأن إيتاء الزكاة مقرون بإقام الصلاة.

وقد كان موقف أبي بكر من مانعي الزكاة موقفاً انتصر فيه لهذا الجانب الاجتماعي العظيم، الذي لم يقبل فيه مساومة ولا مهادنة، ولم ينتصر فيه لنفسه، أو لتثبيت مركزه، وإنما كان منه ذلك انتصاراً لأحد أركان الإسلام، لأن الإسلام كل لا يتجزأ ومن أركانه الأساسية الزكاة.

وإن أبا بكر لم يحارب هؤلاء الممتنعين عن دفع الزكاة إلا لاعتقاده ان الزكاة لم ترد في القرآن العظيم إلا مقرونة بالصلاة، وأن من فرق بين الزكاة والصلاة فقد أنكر وجوب هذا الركن الهام من أركان الإسلام، ولذلك أصر على محاربتهم، وكانت أول حرب تعلن على الأغنياء في سبيل تحقيق مصلحة الفقراء وإيجاد التوازن النسبي بين كل من هاتين الطبقتين.

يقول الله تبارك وتعالى موجهاً الخطاب إلى رسوله الكريم بصفته وليّ أمر المسلمين:

﴿خذ من أموالهم صدقةً تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾ (سورة التوبة الآية ١٠٣).

إن هذا الأمر من الله يوجب على وليّ الأمر أن يتولى جباية الزكاة وجمعها، ومحاسبة المكلفين بها عليها، وإن ورود مصرف من مصارف الزكاة مخصص للعاملين عليها يفيد هذا الوجوب، أي أن الدولة هي

أما إذا كانوا عاجزين، فإنها حق خالص لهم، لا يحق لأحد أن يمنعهم إياه، علماً أن الزكاة لا تعطى لغني ولا لذي مِرّة قويّ.

وإن الزكاة تبقى في ذمة المكلف حتى تتسلمها منه الدولة أو يقوم هو بدفعها إلى مستحقيها ولا تبرأ ذمة المكلف إلا بإخراجها من ماله عند وجوبها فيه.

وقد قرر جمهور الفقهاء أن من يموت ولم يؤد الزكاة الواجبة عليه تكون ديناً في التركة لا تخلص لورثته إلا بعد سدادها.

وتجدر ملاحظة أن الزكاة يجب أن تصرف في البلد الذي جمعت فيه، أي أن تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، ولا تنتقل لبلد آخر إلا بما يزيد على حاجات ذاك البلد، وهذه قاعدة تؤكد على محلية الإنفاق.

ويقرر الفقهاء جواز نقل الزكاة إلى بلد آخر إذا كان فيه ذوو قرابة لدافع الزكاة ليسوا من أصوله ولا من فروعه، ولم يحكم لهم بنفقة قرابة، فإن إعطاء هؤلاء يتحقق فيه أداء واجب الزكاة وأداء واجب صلة الرحم، وتتحقق العدالة بين الأقارب من أفراد الأمة.

لأن العدالة كما سبق في تعريفها: هي الإنصاف بين الناس وإعطاء الحق وصدق الموازنة فيما بينهم.

والزكاة حق يجب على المكلف إعطاؤه لمستحقيه، وليس تفضلاً، ولذلك تكون من أبواب العدل التي تحرص الشريعة الإسلامية على إقرارها بين أتباعها، وهذا ماسنزيد في إيضاحه في الفصل التالي.

ويعلل ابن قيم الجوزية وجوبها مرة في العام بقوله :

«إنه أوجبها مرة كل عام، وجعل الزروع والثمار عند كمالها واستوائها، وهذا أعدل مايكون، إذ وجوبها كل شهر، أو جمعة يضر بأرباب الأموال، ووجوبها في العمر مرة يضر بالمساكين، فلم يكن أعدل من وجوبها كل عام مرة[1].

وإن العدالة متحققة أيضاً في النسبة المفروضة في المال فهي تتمشى مع مقدار مايملكه المسلم منه، قل ذلك أو كثر، فلا يؤخذ منه أكثر من النسبة المستحقة عليه.

وتحديد هذه النسبة تجعل المكلف على بصيرة مما يجب إخراجه من ماله النامي إذا مازاد على النصاب وفقاً للنسبة المقررة على كل نوع من أنواع المال.

وفريضة الزكاة تؤخذ من أغنياء المسلمين وترد على فقرائهم في أماكن جبايتها- إلا إذا اقتضت الحاجة غير ذلك- وبذلك يتحقق العدل في توزيع الثروة وعدم حصرها بأيد قليلة، فينتفع المقتّر عليهم في الرزق

== في البقر: ما دون الثلاثين ليس فيها شيء وإذا بلغت الثلاثين فيها تبيعة ومازاد بحسابه.
في الغنم: مادون الأربعين ليس فيها شيء، وإذا بلغت الأربعين فيها شاة ومازاد بحسابه.
في الأثمان والعروض: مالم تبلغ هي أو قيمتها (عشرين مثقال ذهب- والمثقال يزن ٤,٢٥ غراماً- أو مائتين درهم فضة- والدرهم يزن ٢,١٧٥ غراماً-، ليس فيها شيء وإذا بلغته ففيها ربع العشر مهما بلغت.
في الحبوب والثمار: مادون خمسة أوسق ليس فيها شيء وإذا بلغته فالعشر فيما سقت السماء أو العيون (دون كلفة) ونصف العشر بتكلفة- والوسق ستون صاعاً والصاع يساوي ٢,١٧٤ ليتر من القمح و٢,٧٥ ليتر من الماء- وما لا يمكن كيله مثل القطن والزعفران فتعتبر فيه القيمة.
وفي الركاز: الخمس. والركاز هو من دفن الجاهلية ولا يعرف له صاحب وليس عليه مايدل انه لمسلم.

(١) كتاب (زاد المعاد في هدى خير العباد) ج١ ص١٤٧ طبعة البابي الحلبي ١٣٦٩/ ١٩٥٠.

الباب الثاني :

شريعة الفضل

ويتضمن البحوث التالية:

تقدمة : المدخل إلى شريعة الفضل.

الفصل الأول : من مواقف أهل الفضل :

١- موقف يوسف عليه السلام من إخوته.

٢- ماترون أنيّ فاعل بكم.

٣- ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟

الفصل الثاني : من أبواب الفضل :

١- حسن القضاء.

٢- التجاوز عن المعسر .

٣- حسن الخلق .

٤- الذين يدرءون بالحسنة السيئة .

الفصل الثالث: صدقة التطوع .

الفصل الرابع: الوقف أو الصدقة الجارية .

تقدمة :

المدخل إلى شريعة الفضل

إن حسن الخلق هو من مكارم الأخـلاق وحميد الصفات، وقد كان رسـول الله ﷺ، كما وصفه أنـس بن مـالك رضي الله عنـه، من أحسـن الناس خلقاً (رواه مسلم).

وكفى بوصف الله سبحانه له: ﴿وإنك لعلى خلقٍ عظيم﴾ (سورة القلم الآية ٤).

وقد قالـت السيدة عائشة رضي الله عنهـا إجابةً عن سـؤال أحدهم لها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت:

«**كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه**» (رواه مسلم).

وهذا الـوصف يفيد أنه صلى الله عليـه وسلم كان صورة صـادقة لما يأمـر به الله سبحانـه في كتابه الكريـم، لذلك وجـدناه أبعد النـاس عن الانتقام لنفسه، مالم ينتهك شيء من حرمات الله فينتقم لله.

وهذا ماقالته السيدة عائشة فيما رواه البخاري:

«**ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يؤتـى إليه، حتى ينتهك من حرمات الله فينتقم لله**».

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أنس رضي الله عنه:

وقد رفـع - ﷺ - درجة صاحـب الخلق الحسن إل درجـة الصائم الذي لا يفتر عن ذلـك . فقد روى الامام أحمد عن عـائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال :

«إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار»

ويمتدح الـرسول ﷺ المؤمنين بحسن الخلـق فيقول (مـن رواية أبي هريرة) :

«إن أكمـل المؤمنين إيمانـاً أحسنهـم خلقـاً وخيـاركـم خيـاركـم لنسائكم» (أبوداود والترمذي) .

وهذا ما روته أيضاً السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال :

«إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله» (رواه أحمد) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«كرم الرجل دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه» (رواه أحمد) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

«من أحب لله وأبغض لله وأعطـى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان ، وإن أفضلكـم أحسنكم أخـلاقاً وإن مـن الإيمان : حسن الخلـق» (رواه أحمد وأبوداود والترمذي) .

وهذه الصفـات التي يعددها الـرسول ﷺ تدخل في شمـول حسن الخلق الـذي يدعـو إليه ﷺ ، وبخـاصة عنـدما يضمّـن الحديث- بعـد تعداد تلك الصفات- قوله : **«وإن أفضلكم أحسنكم أخلاقاً»** .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

الفصل الأول :

من مواقف أهل الفضل

١- موقف يوسف عليه السلام .

٢- ماترون أنيّ فاعل بكم .

٣- ألا تحبّون أن يغفر الله لكم؟

موقف يوسف عليه السلام
من إخــــوته

إن موقف يوسف عليه السلام من إخوته هو من أبرز المواقف التي يتجلى فيها الفضل بالصفح والترفع عن المقابلة بالمثل لمن أساءوا إليه إساءة لم يكن فيها تقابل ولا تكافؤ ولا مبرر سوى الحقد والحسد، ومن ثم الكيد الذي دفع بإخوة يوسف إلى أن يتخلصوا منه، وهو الطفل البريء الذي لا حول له ولا قوة، أمام جبروت إخوته وإجماعهم على التخلص منه بأي شكل من الأشكال.

وقد قال محمد بن اسحاق بن يسار في هذا الصدد: [١]

«لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير، الذي لا ذنب له، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفصل، وخطره عند الله، مع حق الوالد على ولده ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه على كبر سنه ورقة عظمه مع مكانه من الله، ممن أحبه طفلاً صغيراً، وبين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه . . .»

إن هذا التصرف من إخوة يوسف أملاه عدم رضاهم عن محبة أبيهم لأخيهم الصغير يوسف **﴿إذ قالوا ليوسف أحبُّ إلى أبينا منا ونحن**

---

(١) من كتاب تفسير ابن كثير ج٢ ص٤٧٠ .

﴿قال: لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ (٩٢).

إن هذا لهو الفضل الذي واجه به يوسف إخوته، على الرغم مما ارتكبوه في حقه، فلا مجال إلى لومهم أو إلى إعادة تذكيرهم أو تبكيتهم بما سبق منهم إليه.

وإننا نجد هذا التسامي في الخلق من يوسف عليه السلام في أن لا يصدر عنه في مواجهتهم مايسيء إليهم ولو تلميحاً، لذلك نجده، عندما يجتمع شمله بأهله أجمعين، يجعل ما حصل بينه وبين إخوته من عمل الشيطان، فيقول عليه السلام:

﴿يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم﴾ (١٠٠).

ويلاحظ أن يوسف عليه السلام قال: **﴿إذ أخرجني من السجن﴾** ولم يقل: «إذ أخرجني من الجب» لكي لا يجرح شعور إخوته بتذكيرهم بفعلتهم بعد أن أخطرهم بالصفح وطلب المغفرة لهم.

كما أن قوله: **﴿من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي﴾** يجعل من نفسه طرفاً في النزاع، وكأنه كان خصماً لهم ولم يكن ضحية لهم ليخفف عنهم أثر وقع هذه الذكرى الأليمة.

إن هذا الأدب النبوي، وهذا الترفع بالأخلاق مع من كاد له وأساء إليه هو ماترمي إليه قصة يوسف- مع ماترمي إليه من توجيهات وعبر أخرى-.

ومن هذا التوجيه السديد يتبين لنا أن عاقبة الصبر والتخلق بهذه الأخلاق الحميدة تكون حميدة وتعطي خير النتائج.

وهذا ماسيمر معنا نظيره في موقف رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام من قومه يوم فتح مكة.

فلما اشتد الأمر عليه بعد موت أبي طالب خرج ومعه زيد بن حارثة متوجهاً إلى ثقيف في الطائف يلتمس منهم النصر والتأييد، ولكنهم قابلوه بأسوأ مما كان يلقاه في مكة، وأغروا به سفهاءهم، فاجتمعوا إليه وألجأوه إلى حائط (بستان)، فجلس إلى ظل شجرة عنب وتوجه إلى ربه بدعائه المشهور:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، ياأرحم الراحمين، أنت ربُّ المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدوٍ ملكته أمري، إن لم يكن بك عليّ غضبٌ فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل بي سخطك..».

وبعد أن آمن به نفر من قبيلتي الأوس والخزرج، وتمكن الإيمان من قلوب أكثر أهل يثرب، أمر النبي أصحابه بالهجرة إليهم.. لأنه يئس من إيمان قريش به، وهو في مكة، كما يئس من تركهم له ليبلغ رسالات ربه..

فلما رأت قريش هجرة أكثر من آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام اجتمعت في دار الندوة، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ماكان، وما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه فأجمعوا فيه رأياً..

فقال أبوجهل: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى نسيبا ويعطى كل فتى منهم سيفاً، ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه، فإذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم

الخصومة الشرسة مع قريش . .

إن هذا الموقف وأمثاله الذي وقفه رسول الله ﷺ مع قريش أملاه عليه وصف ربه له بقوله في سورة التوبة :

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (١٢٨)

وقد كان من قبل أيضاً حريصاً على إسلامهم ، وكان يصعب عليه انصرافهم عن هذا الدين وصدودهم عنه ، فخاطبه ربه بقوله في سورة الكهف :

﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً؟﴾ (الآية٦)

إن هذه الأخلاق السامية الكريمة هي التي جعلت من هؤلاء الطلقاء ، بعد أن دخلوا في الإسلام خير من يحمل الدعوة إلى الله ، فباعوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله ، فكان على أيديهم ، وأيدي من سبقهم بالإيمان ، انتشار دين الله في الأرض .

هذا هو التوجيه السديد من الله لعباده المؤمنين في أن يعفوا ويصفحوا عمن أساء إليهم ، لتكون عاقبة ذلك مايحمدون عليه ، فيستحقون بذلك مغفرة من الله ورحمة .

وصدق الله العظيم :

﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ (سورة النور الآية ٢٢) .

عليهم وآتاهم من فضله أن يعفوا وأن يصفحوا عمّن أساء إليهم، مهما بلغ جرم هذه الإساءة أو عظيم وقعها . . لأن آثار الصفح والعفو بعد المقدرة، هي الثمرة النافعة التي يجنيها المجتمع نتيجة لحسن تصرف العقلاء فيه، فيكونون خير أسوة لغيرهم، فينقلب المجتمع أسرة كبيرة متراصة يشد بعضه أزر بعض . . لا كيد فيه ولا حقد، وإنما هو التسامح والتسامي إلى محاسن الأخلاق ومكارمها . .

هذه هي شريعة الفضل التي يندب الإسلام أتباعه إلى التخلق بها، لما لها من آثار محببة وغاسلة لكل ما يحاول الشيطان إيقاعه بين أفراد المجتمع المسلم . . ولذلك ورد التذكير من رب العالمين بفضله على هذه الأمة المسلمة، كما ورد التحذير من أتباع خطوات الشيطان وذلك في قوله سبحانه في سورة النور:

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم. ياأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾. (الآيتان ٢١/ ٢٢).

وإنه لابد من الرجوع إلى حادثة الإفك كما هي مسجلة في مظانها في كُتُبِ التفسير والحديث للاطلاع عليها ومعرفة الأثر السيء الفظيع الذي خلفته في المجتمع الإسلامي خلال فترة شهر تقريباً حتى نزل الوحي بتبرئة أم المؤمنين مما نسب إليها ظلماً وبهتاناً، وما تضمنته الآيات الكريمة من توجيه رب العالمين لعباده المؤمنين بالمبادرة إلى العفو والصفح عمّن أساء إليهم على الرغم من عظيم هذا الجرم ومن شناعته، وكيف أنه مسّ أعظم إنسان في أهله، كما أصاب أفضل إنسان بعد النبيين في ابنته،

الفصل الثاني :

من أبواب الفضل

١- حسن قضاء الدين .

٢- التجاوز عن المعسر .

٣- حسن الخلق .

٤- الذين يدرؤون بالحسنة السيئة .

١- حسن قضاء الدين

إن احتياج النـاس بعضهم إلى بعض أمـر وارد، ومن أنـواع الحاجة افتقار بعضهم إلى المال لقضاء بعض مايلزمه، من إطعام أفراد أسرته، أو كسوتهم أو تطبيبهم، أو الـرغبة في تزويج أحد منهـم . . إلى غير ذلك من الأمور التي تتطلب منه الإنفـاق على نفسه أو على من تجب عليه نفقتهم، وليس لديه مال يكفيه لتغطية هذه الحاجة . .

وقد أباح الإسلام التداين ولم يحرمه، لقوله ﷺ:

«**من أخذ أمـوال الناس يريد أداءهـا أدّى الله عنه، ومن أخذ يـريد إتلافها أتلفه الله**» (رواه الامام البخاري).

وكان عليه الصلاة والسلام يستدين كما سيمر معنا من أحاديث.

غير أنه ﷺ شدّد في وجوب وفاء الدين لقوله:

«**نفـس المؤمن معلقـة بدينـه حتـى يقضى عنـه**» (رواه الأئمة أحمد والترمذي وابن ماجه.

وتـروي أم المؤمنين عـائشـة رضي الله عنهـا أن رسـول الله ﷺ كـان يدعو في الصلاة:

«**اللهـم إني أعوذ بـك من المأثـم والمغرم، فقـال قائل: مـا أكثر مـا تستعيـذ مـن المغرم؟ فقـال: إن الـرجـل إذا غـرم حدّث فكـذب ووعـد فأخلف**». (أخرجه الامام البخاري).

- **«استسلف رسـول الله ﷺ بَكْرا، فجـاءته إبـل الصدقـة، قال: أبورافـع فأمرني رسول الله ﷺ أن أقضي الـرجل بَكْره، فقلـت: لم أجد في الإبل إلا جملاً خياراً رباعياً، فقال رسـول الله ﷺ: أعطه إياه، فإن أحسن الناس أحسنهم قضاء»**. (رواه الامام البخاري).

أما إذا جرى الشرط في القرض أن يرد المديـن أكثر من دينه أو أفضل فهو حرام.

ويروى عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه أنه قال لأبي بردة: **«إنك بأرضٍ الـربا فيها فـاش، فإذا كان لك على رجـل حق فأهـدي لك حمل تبـن أو حمل شعير أو حمل قَتّ، فـلا تـأخـذه فإنـه ربـا»** (أخـرجه الامـام البخاري في فضائل الأنصار).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً تقـاضى رسول الله ﷺ فأغلظ له، فهمّ به أصحـابه، فقال: **« دعوه فإن لصـاحب الحق مقالا، واشتروا له بعيراً فـأعطوه إيـاه. قالـوا: لانجد إلا أفضـل من سنـه. قال: اشتروه فأعطوه إياه فإن خيركم أحسنكم قضاء»** (أخرجه الامام البخاري).

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رجـلاً أتـى النبـي ﷺ يتقـاضـاه بعيراً، فقـال رسـول الله ﷺ **«أعطوه، فقالوا: مـانجد إلا سناً أفضل من سنه. فقـال الرجل: أوفيتني أوفاك الله، فقال رسـول الله ﷺ: أعطوه، فإن من خيـار الناس أحسنهم قضاء»**. (رواه الامام البخاري).

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال:

«أتيـت النبي ﷺ وهـو في المسجد ضحـى، فقال: صـل ركعتين، وكان لي عليه دين فقضاني وزادني».

٢- التجاوز عن المعسر

كانـت العرب في جاهليتهـا تبيح الربـا في التعامل، ولاتجد حـرجاً من أن يتضاعف الـدين على المدين مادام معسراً أو عاجزاً عـن الدفع . . فكان المدين إذا حلّ أجل دينه يقول له الدائن: أتقضي أم تربي؟ فيضطر المدين العاجـز عن الدفع أن يـزيد في مقدار دينه ليصبر الـدائن عليه وقتا آخر، وهكـذا . . فحرّم الله سبحانـه ذلك وشـدّد في التحريم وأنـذر من يستمر عليه بقوله في سورة البقرة:

﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحربٍ من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون﴾ (الآية ٢٧٩).

وقد قـال الفقهاء في ذلك إنه مـن كان مقيماً على الربا لا ينـزع عنه، كان حقاً على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن نزع وإلا ضرب عنقه . .

ويروي عنه ﷺ أنه خطب في حجة الوداع فقال:

﴿ألا إن كـل ربا في الجاهليـة مـوضـوع عنكم كلـه، لكـم رؤوس أموالكـم لاتَظْلِمون ولا تُظْلَمـون﴾ وأول ربـا موضـوع ربـا العباس بـن عبدالمطلب موضوع كله.

ثم يقول الله سبحانه بعد تلك الآية مباشرة:

﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصـدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (الآية ٢٨٠)

لم يعاقبه .

وقد وردت أحاديث كثيرة تحض على التيسير على المعسر أو التجاوز عنه ، ومنها مارواه الامام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :

- **«كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا جئت معسراً فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا ، فلقي الله فتجاوز عنه»** .

ويروي الامام أحمد في مسنده عن حذيفة رضي الله عنه :

- **«أن رجلاً أتى الله عزّوجل به فقال : ماذا عملت في الدنيا؟ فقال الرجل : ماعملت من مثقال ذرة من خير أرجوك بها ، فقالها ثلاثاً ، وقال في الثالثة : أي رب ، كنت أعطيتني فضلاً من المال في الدنيا فكنت أبايع الناس ، وكان من خلقي التجاوز ، فكنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر ، فقال الله عزوجل : نحن أولى بذلك منك تجاوزوا عن عبدي فغفر له»** (رواه أحمد) .

وعن أبي اليسر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

- **«من أنظر معسراً ، أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»** (رواه الامام مسلم) . وعن أبي قتادة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

- **«من نفّس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة»** . (رواه أحمد والدارمي) .

وهكذا فإن التصدق على المعسر هو من الفضل الذي يحض عليه التشريع الإسلامي لما له من آثار طيبة على التعامل بين الناس .

عليها مايقدر عليه من الاحسان، مصداقاً لقوله ﷺ:

«ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (متفق عليه).

وقد وصف الله عباده المتقين بأنهم أولئك:

﴿الذين ينفقون في السراء والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (آل عمران ١٣٤).

فهؤلاء المتقون الذين يسارعون إلى مغفرة من ربهم وجنة عرضها السماوات والأرض، ينفقون في الشدة والرخاء، والمنشط والمكره، والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال، سراً وعلانية، لايشغلهم شاغل عن طاعة الله والالتزام بأوامره والإحسان إلى خلقه بأنواع البر، وأنهم إذا ما أخذهم الغيظ وثاربهم كظموه وأخفوا بوادره فلم ينفعلوا، أي لم يتركوا للشيطان عليهم سبيلاً، بل أرغموا أنفه فسارعوا بالعفو عمّن أساء إليهم، لأن من كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه، ملأ الله جوفه أمناً وإيماناً..

وإضافة إلى حبس النفس عن الانتقام، فإنهم يعفون عمّن ظلمهم في أنفسهم، فلا تبقى في أنفسهم موجدة على أحد.. وهذا من أكمل الأحوال، ولهذا قال رب العالمين: **﴿والله يحب المحسنين﴾**، فهذا من مقامات الإحسان، أي من مقامات الفضل الذي يتحلى به أمثال هؤلاء المتقين.

وقد ورد في الحديث قوله ﷺ:

- **«ثلاث أقسم عليهن:**

٤- الذين يدرؤون بالحسنة السيئة

إن هـذه الصفة التـي يصـف رب العالمين عبـاده المتقين بها لا تخرج عن كونها من مكارم الأخـلاق التي يحض الإسلام على التخلق بها ، وهي من صفات الفضل التي اتصفت بها هذه الشريعة السمحاء .

يقول رب العالمين في سورة الرعد :

﴿للذيـن استجابوا لربهم الحسنـى والذين لم يستجيبوا لـه لو أن لهم مافي الأرض جميعاً ومثلـه معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحسـاب ومأواهم جهنم وبئس المهـاد . أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربـك الحق كمن هو أعمـى إنما يتذكـر أولـو الألبـاب . الذيـن يـوفـون بعهد الله ولا ينقضـون الميثاق . والـذين يصلون ما أمـر الله به أن يوصل ويخشـون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجـه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهـم سراً وعلانية ويدرؤون بـالحسنة السيئة أولئك لهم عقبـى الدار . جنـات عـدنٍ يدخلـونها ومـن صلـح مـن آبـائهم وأزواجهـم وذريـاتهم والملائكة يـدخلون عليهم مـن كل بـاب . سلام عليكم بما صبرتـم فنعم عقبى الدار﴾ (١٨-٢٤) .

إن هذه الصفـات لا يتخلق بها إلا الـذين استجـابوا لـربهم وأخذوا أنفسهـم بـالالتـزام بـأوامـره اجتنـابـاً ونهيـاً ، فهـم ممّـن أحسـن لنفسـه

ندبتهم إلى تحقيق الفضل لتكون عاقبتهم ماوعدهم الله سبحانه، وان وعده حق، وهو أصدق القائلين.

ثم إن هذه الصفات لاتقتصر على أصحابها، وإنما تتعداهم إلى من يتعاملون معهم ويلقون منهم هذه السماحة وهذه البشاشة مع سعة الصدر ورحابته.

إن هذه الأوصاف تنعكس على من يتعاملون معهم فيتأثرون بهم، ويعاملون غيرهم بمثل هذه المعاملة فيعم الجميع البشر، وينقلب المجتمع بأسره إلى ما أراده الله لهم من خير فيحققون وصف الله لأسلافهم:

﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ (آل عمران ١١٠).

وانظر إلى هذا التوجيه الكريم من الرسول ﷺ لمن جاءه يستفتيه في مقابلة السيئة بمثلها في حديث رواه الامام الترمذي عن مالك بن فضالة قال:

«**قلت يارسول الله: الرجل أمرُّبه فلا يقريني ولا يضيفني، فيمر بي أفأجزيه؟ قال: لا أقْرِهِ**».

ويروي الامام الترمذي عن أبي هريرة مايفيد تجنب المقابلة بالمثل في قوله ﷺ:

«**أدّ الأمانة إلى من أئتمنك ولاتخن من خانك**».

وما بعد هذا التوجيه الكريم من ارتفاع عن مجاراة الفعل السيء، من توجيه، وهذا ماتدعو إليه الشريعة وترفع درجات من يأخذ به.

الفصل الثالث :

صدقة التطوع

الصدقة ما تصدقت به على الفقراء، أو ما أعطيته في ذات الله للمحتاجين.

والصدقة مشتقة من الصدق، أي أن تصدق في عطائك، وأن يكون خالصاً لوجه الله تبارك وتعالى، ليس فيه منّة أو أذى.

ولذلك قال رب العالمين:

﴿**الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم. ياأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**﴾ (الآيات ٢٦٢-٢٦٤ من سورة البقرة).

والصدقة تعني أيضاً الزكاة المفروضة لقوله تعالى:

﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**﴾ (سورة التوبة الآية ٦٠).

والزكاة محددة المقدار، وهي فريضة في مال المسلم متى زاد على النصاب، أما الصدقة في أوسع سبل الإنفاق لأنه لا حدود لها، وقد

سبق ذكره، أما فعل الخيرات فهي دعوة الله لعباده من لدن خلق آدم حتى بعثة رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، يقول الله تعالى:

﴿فاستجبنا له وهبنا له يحي واصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾ (سورة الأنبياء الآية ٩٠).

ويقول تبارك وتعالى:

﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون. والذين هم بربهم لايشركون. والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ أنهم إلى ربهم راجعون. أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون. ولا نكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لايظلمون﴾ (سورة المؤمنون الآيات ٥٧-٦٢).

وقد صنّف الله سبحانه عباده على ثلاث درجات، جعل أعلاها درجة السابق بالخيرات، وذلك في قوله جل وعلا:

﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ (سورة فاطر الآية ٣٢).

والصدقة، أي صدقة التطوع، يعتبرها الله سبحانه قرضاً له من عباده، وهو الغني عن العالمين، فضلاً منه ورحمة، وتشجيعاً منه لعباده على فعل الخير في هذه الحياة الدنيا، ليعود نفعها على الناس أجمعين، ومن جملتهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وماتقدموا

بصدقة انبسطت عنه، وجعل البخيل كلما همّ بصدقة قلصت وأخذت كل حلقه بمكانها»(١).

والحض على الإنفاق في سبيل الله أمر توسع فيه الإسلام فلم يترك مجالاً لعمل الخير إلا وشجع عليه، ولو كان زهيداً، وهذا الحديث التالي يصور لنا ذلك بدقة وشمول:

«**عن جرير قال: كنا عند النبي ﷺ في صدر النهار، فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار**(٢)، عليهم العباء والصوف، عامتهم من مضر، قال: فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير لما رأى بهم من الفاقة، ثم قام فدخل فأمر بلالاً، فأذّن وأقام ثم خرج، فصلى ثم خطب، فقال: ﴿**ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة**﴾ (النساء ١ إلى آخر الآية. ﴿**اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدّمت لغد**﴾ (الحشر ١٨ إلى آخر الآية، يتصدق الرجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة. فجاء رجل من الأنصار بصرّة قد كادت كفّه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من ثياب وطعام، ورأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، ثم قال:

«**من سنّ في الإسلام سنة حسنة يُعمل بها من بعده كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سن في الإسلام سنة سيئة يعمل بها من بعده، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص شيئاً**»(رواه الامام مسلم).

---

(١) الجنة: من الحديد، هي الدرع. قد اضطرت ايديهما: حبستهما.
(٢) مجتابي النمار: أي لابسي الأزر من صوف مخططة، والنمار: كل شملة مخططة من مآزر الاعراب.

الفصل الرابع:

من أبواب هذا الفصل :

■ الوقف أو الصدقة الجارية :

● من الناحية الاقتصادية .

● من الناحية التعليمية .

● صلاح الفرد والمجتمع .

● بداية الوقف وانتشاره .

● شمول الوقف لمختلف وجوه البر .

الفصل الرابع :

الوقف
أو الصدقة الجارية

إن من أبواب الفضل التي تفضل الصدقة الفورية الصدقة الجارية أو (الوقف)، لأن هذه الصدقة ذات أثر خيّر مستمر ما أحسن القائمون عليها الانتفاع بها واستثمارها .

وهي وإن كانت من أبواب الصدقات الخيرية، ولكنني أحببت إفرادها بالبحث، لأن لها مميزات خاصة بها يجدر بالقاريء الاطلاع عليها .

لقد حرص الإسلام منذ بداية عهده على فتح أبواب للخير، وحض على المسارعة فيها، ورغّب في ذلك، وضمن للفاعلين الأجر العظيم عند الله، وأكّد على أن الإنسان لا يخلد منه إلا عمله، لقوله ﷺ :

«يتبع الميت ثلاثة : فيرجع اثنان ويبقى واحد . . يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله» (رواه الامام مسلم) .

وإن من عمله الذي لا ينقطع ثوابه : الصدقة الجارية . . مصداقاً لقول الرسول ﷺ :

«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» (رواه الامام مسلم) .

المستمر، هـو: العلم الذي ينتفع بـه. وهذا أمر ملمـوس ومتحقق، لأن العلم هو ثمرة الجهد الذي بـذله العلماء في تقريبه إلى الناس، وهو التراث الخالد الـذي ورثوهـم إياه، والعلماء ورثـة الأنبياء.. والعلـم لا يأتي إلا بالتعلم والتعليم.. والتعلم لابد له مـن معلم أو كتاب يرجع إليه، وإن التراث العلمي الذي بين أيـدينا يشهد لعلمائنا بهذا الفضـل الكبير الذي خلد ذكرهم، وضمن لهم استمرار الأجر باستمرار الانتفاع من علمهم.

وإننا نجد الترابط بين العلم والصدقة الجاريـة في كثرة ماهو موقوف مـن العقارات على طـلاب العلـم وعلى أغـراضه.. حتـى إن كثيراً مـن العلماء وقفوا كتبهم وتآليفهم على طلبـة العلم ابتغاء الأجر الدائم.. وإن كثيراً من الأغنياء اقتنوا الكتب ووقفوهـا، ووقفوا عليها مايضمن استمرار النفع بها.

وإن التاريخ الإسلامي مليء بالشواهد التي تشير إلى وقف مكتبات كاملـة بموجـوداتها جميعها، مـع توفير السكـن والغذاء لطـلاب العلم، طوال إقامتهم فيها، للاغتراف من منابعها وكنوزها.

وأما الأمر الثالث، وهو الولد الصالح الذي يدعو لوالديه، فلا يقل أهميـة عما سبقـه، لأن صـلاح الفرد يـؤدي إلى صـلاح المجتمـع، ومـن صلاح الفرد مسارعته في الخيرات والميراث، والدعـاء بالخير للوالدين، لا يقتصر على شخص الولـد الصالح، وإنما يتعداه إلى كـل من لمس صلاح هذا الولـد، وترحم على والديه اللـذين أحسنا تربيته.. فتضـاعف أجر الوالـدين تبعاً لتضاعـف الأثر الذي يتركه هـذا الولد الصالـح في مجتمعه حياً أو ميتاً.

ويحسن بنا ان نستعرض أثر هذه الأمـور الثلاثة في المجتمع لأنها آثار

وهـذه من مـزايـا الإسلام التـي سبـق بها دعـاة العلم في العصـور المتـأخـرة . . فكانـت النهضـة العلميـة التي ظهـرت على أيـدي العلماء المسلمين في القرون الأولى للهجرة ، نهضـة إنسانية تقوم على النفـع الذي هو هدف العلم وثمرته ، ولا تفرق بين شعب وآخر باعتبار ان الناس عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله .

كما كانت هذه النهضة مفتـاح النهضات العلمية المتعاقبة ، اعترف بها منصفـوهم ، وبقيـت معـالمها خـالـدة في الكنـوز العلمية الموزعـة في مكتبات العالم وفي الآثار العمـرانية التي تشهد على ما توصلـت إليه هذه الحضارة الإسـلامية الإنسانيـة . . فإن قصّر الخلف في استمـرار حمل هذه الرسـالة ، والنهوض بها إلى المستـوى المنشود ، فإن هـذا التقصير لا يمس تعاليم الإسلام بشيء ، لأنها تعاليم خالدة تكفل لمن يأخذ بها الارتفاع إلى أعلى مستوى يمكن ان تصل إليه جهود العلماء .

وقد كان العلم مقـروناً بالبذل من العلماء أنفسهم ومـن أولياء أمور الأمة وأثريـائها . . وكانت المؤسسات العلميـة تموّل من عائدات الخيرات الموقوفـة عليها ، ومن التبرعـات الفرديـة . . أو من المخصصات الـدائمة التي ترصدها الدولة لضمان حسن أداء رسالتها واستمرارها . .

وإن أثر العلـم في المجتمع لا مجال لنكرانـه . . ولهذا كانت الـدعوة إلى التزود منه موجهة من الله سبحانـه وتعالى إلى رسوله بقوله : ﴿**وقل ربّ زدني علماً**﴾ وهذه دعوة عامة وليست خاصة به ، ﷺ .

وإن انتشـار العلم النـافع بين أفـراد الأمـة ، والتزود منـه ، يرتفعـان بمستـواها إلى المنـزلة التـي انطلقت منهـا بشهـادة الله سبحانـه في قولـه الكريـم : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ .

اليوم يـوم سبت . فقال : لا سبت ، وأخـذ سيفه وعدته وقـال : إن قتلت فمالي لمحمد يصنع به مايشاء ، ثم غدا فقاتل حتى قتل .

فقال رسول الله ، ﷺ : مخيريـق خيريهود . ثم جعل أموالـه أوقافاً . وكانـت سبع حـوائط . فعمّ نفعهـا ، بعد أن كـان مقتصراً على مالكهـا . وبـذلـك وضع الـرسـول ﷺ أول لبنـة في هيكـل هذه المؤسسـة الخيريـة الاقتصادية العامة ، التي أطلق عليها فيما بعد اسم الوقف .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أبوطلحة أكثر الأنصار بـالمدينة مـالاً من نخـل ، وكان أحـب شيء إليـه من أمـواله «بيرحـاء» ، وكانـت مستقبلة المسجـد وكان رسول الله ﷺ يـدخلها ويشرب مـن ماء فيها طيب .

قال أنـس : فلما أنزلت هـذه الآية : ﴿**لن تنـالوا البر حتى تنفقـوا مما تحبون**﴾ ، قـام أبوطلحـة إلى رسول الله ﷺ فقـال : يارسـول الله ، إن الله تبارك وتعالى يقول : لن تنالوا البر حتـى تنفقوا مما تحبون ، وان أحب أموالي إليّ «بيرحـاء» وأنها صدقـة لله أرجو بها بـرهـا وذخرهـا عند الله ، فضعهـا يارسول الله حيث أراك الله . قال : فقال النبي ﷺ : «**بخ ، بخ ، ذاك مال رابـح ، ذاك مال رابـح ، وقد سمعـت مـاقلت ، وإني أرى ان تجعلهـا في الأقـربين . فقال أبـوطلحة : أفعـل يـارسول الله ، فقسمهـا أبوطلحـة في أقاربه وبني عمه .** » (رواه الامام البخاري) .

وكـان هذا أول وقـف أهلي ، نتـج عـن دعوة الله عبـاده المؤمنين إلى المسارعة إلى الإنفاق من أطايب أموالهم ، أي مما يحبون .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال :

أصاب عمر أرضـاً بخيبر، فأتى النبي ، ﷺ يستأمـره فيها ، فقال :

وقد كان من الأوقاف ماهو مخصص للعاجزين عن الحج، فيعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته. وما هو مخصص لتجهيز البنات إلى أزواجهن، وهن اللواتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن. وما هو مخصص لفكاك الأسارى من المسلمين، ولأبناء السبيل المنقطعين، يعطون منها مايأكلون، ويلبسون ويتزودون حتى الوصول إلى بلادهم. ومنها ما هو مخصص للحيوانات التي تخلى عنها أصحابها، لقلة نفعها أو لعجزها عن الانتفاع منها، تعيش في مراعي وأماكن تجد فيها العلف والماء إلى أن تموت، ومنها ماهو مخصص لشراء بدل الأواني التي كسرت بأيدي الخدم، فيحصلون على بديلها ويعودون به إلى أسيادهم لاتقاء غضبهم عليهم. . إلى غير ذلك من أعمال البر والخير. .

شمول الوقف لمختلف وجوه البر:

قلنا إن الصدقة الجارية تمتاز عن الإنفاق الفوري، بأنها مستمرة النفع، لاستمرار وجود عينها صالحة للاستثمار. . وأنها ذات أثر اقتصادي لاستمرار نفعها المادي مما هو محبوس لمصلحتها.

ولهذا تسابق الخيرون إلى عمران المساجد ومدها بما يصلح لها من فرش ومياه وسكن للقائمين عليها. . ووقف دور ومحلات وأراض زراعية صالحة للاستثمار ليعود ريعها على استمرار صلاح عينها، ولتغطية نفقات المتفرغين لها، وما هي بحاجة إليه من إنارة وفرش ونظافة وغير ذلك. .

وان معظم المساجد في العالم الإسلامي هي وقف أو موقوف عليها،

الفصل الخامس :

من أبواب هذا الفصل :

- المعاملة مع الأعداء .

١- العدالة مع الأعداء .

٢- التجاوز عن إساءات أعداء الله.

الفصل الخامس :

المعاملة مع الأعداء

١- العدالة مع الأعداء

العدالة مطلوبة، - كما سبق ذكره- مع النفس ومع الآخرين، ومن هؤلاء: الأعداء الذين يناصبون المسلمين العداء ويتربصون بهم الدوائر، والذين لايرقبون في المسلمين إلاًّ ولا ذمة. (الإلُّ: القرابة. والذمة: العهد).

وقد أمر الله سبحانه أن تكون معاملة المسلمين لأعدائهم معاملتهم لأنفسهم، أي أن لا يخرجوا عن حدود العدالة، ولا يقابلوا سوء التصرف بمثله، ولو كان الأصل جزاء سيئة سيئة مثلها، أي ان العدل قائم في القصاص وفي المماثلة في استيفاء الحق.

وأبرز مثل على ذلك ماحصل من تمثيل في قتلى المسلمين في غزوة أحد، وبخاصة مافعلوه بحمزة رضي الله عنه.

يقول ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) عما وقع من تمثيل بقتلى المسلمين في غزوة أحد: (ووقعت هند وصواحباتها على القتلى يمثلن بهم، واتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خدما (خلاخل) وقلائد، وأعطت خدمها (خلاخيلها) وقلائدها وحشيا، (قاتل حمزة)

الإسلام لمعتنقيه بالاكتفاء بالقتال ومايتطلبه من جلاد ونزال وجرح وقطع وقتل . . ولكن دون تعـذيب أو تمثيل ، وأن يتجنبوا قتل من لا يقـاتل من النساء والصبيان والشيوخ والرهبان والمرضى . .

وفي قوله تبارك وتعالى :

﴿الشهـر الحرام بـالشهـر الحرام والحرمـات قصـاص فمـن اعتـدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مـا اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (سورة البقرة الآية ١٩٤) .

إن الاعتـداء على المسلمين في الشهـر الحرام يـوجـب عليهـم ان لا يمنعهم ذلـك من الرد على المعتدي بمثـل عدوانه ، لأن من تجاوز حـرمة هذا الشهـر ، فهو المتسبب بـأن يعامل بـالمثل ، وقد ورد لفـظ (الحرمات) بالجمـع ، لوقوع الاعتـداء في الشهر الحرام وفي البلـد الحرام والمسلمون في لباس الاحرام . .

ولا يصح أن يقع الاعتداء ، ولو في مثـل هذه الحرمات الثلاث ، وأن يسكـت المسلمون عنـه ، لأن معنـى ذلك هـو الـذل والاستكانـة ، والله سبحـانه لا يـرضى لعبـاده الـذل ، وهو القـائل : **﴿ولله العزة ولـرسولـه وللمؤمنين﴾** ، ولهذا أجاز لهم رب العـالمين رد العدوان بمثلـه مع الأخـذ بالتقوى .

و إن توجيـه المسلمين إلى الأخذ بـالتقوى يفيـد عدم الإفـراط في رد العدوان فيما إذا تحقق للمسلمين التمكن من أعـدائهم ، لأن التمكن من العدو ، مع تحقـق العدو من تغلب المسلمين عليهـم وأنهم اصبحوا تحت رحمتهم ، يعطـي للعفو وللتجاوز أثـره على نفسية المغلوب ، وأن الغـالب على تمكنه منه ، تجاوز عنه ولم ينتقم منه .

ديـاركم وظـاهروا على إخـراجكم أن تـولـوهم ومـن يتولهم فـأولئك هـم الظالمون﴾الآية ٩ من السورة السابقة .

إن هـذه الآيـة جـاءت والمسلمـون مضطهـدون وملاحقـون مـن أعدائهم المشركين، فحذّرتهم من أن يتولـوهم وهم على هذه الحال، وقد افتتح الله هذه السورة (سورة الممتحنة) بقوله :

﴿ياأيها الـذين آمنوا لاتتخذوا عـدوي وعدوكم أولياء تلقـون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جـاءكم من الحق يخرجون الرسول وإيـاكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهـاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلـم بما أخفيتم وما أعلنتم ومـن يفعله منكم فقد ضـل سواء السبيل . إن يثقفوكم يكونوا لكـم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ودّوا لو تكفرون﴾ .

ومن هذا الافتتاح يتأكد لنـا أن الله سبحانه يحذر المؤمنين من موالاة المشركين وهم في شـدة معاداتهم لهم، لأن المعركـة لما تنته بعـد، فهم إذن في حرب مع المشركين، وإن موالاتهم وهم في مثل هـذه الحال، كأنه تآمر ضد المسلمين ولا يليق بالمسلمين أن يفعلوا ذلك .

أمـا إذا لم يكن بين المسلمين والمشركين قتـال، فـإن الـدعوة تكـون بالحسنـى، حتى وإن استمر المشركـون أو الكفار على ضلالهم . وهـذا ما نجده في قوله تعالى في سورة الجاثية :

﴿قل للـذين آمنوا يغفـروا للذين لا يرجـون أيام الله ليجزي قـوماً بما كانوا يكسبون . مـن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليهـا ثم إلى ربكم ترجعون﴾)(الآيتان ١٤/ ١٥) .

إن توجيه الله سبحانه لعباده المؤمنين بـأن يغفروا لمن أساء إليهم من

الفصل السادس :

مع الزوجات والأولاد

يقول الله تبارك وتعالى محذراً وموجهاً في علاقة الإنسان مع زوجه وأولاده :

﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإنّ الله غفور رحيم . إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم . فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم . عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم﴾ (سورة التغابن ١٤-١٨).

إن الخطاب في هذه الآيات للذين آمنوا، والزوجات والأولاد، هم زوجاتهم وأولادهم، وعلى الأغلب لا يكون هؤلاء إلا تحت رفرف الإيمان ورعايته، غير أن بعضهم يكون سبباً في أن يحول دون وفاء الزوج أو الولد بما عليه من حقوق تجاه الآخرين، مثل صلة الرحم وحسن الجوار وقضاء الحاجات . . لأن شدة المحبة للزوجة والأولاد يجعل تعلق الرجل بهم أسيراً لطلباتهم وحريصاً على تنفيذ رغباتهم، إشفاقاً عليهم من أن يخالف لهم رغبة، أو أن يحول دون تحقيق طلب، فلا يستطيع من حبه لهم إلا ان يعطيهم، ولا يحكم العقل في نتائج مايرغبون فيه . .

وعندما يصحو الرجل على نفسه يشعر بأنه وقع في خطأ ماكان له

أجر عظيم﴾ .

ولا يـرد هنـا ذكر للـزوجـات ، لأن أثـرهـن أقل مـن أثـر الأولاد . . فـالأولاد يـأخـذون كنيـة أبيهم وينسبـون إليـه على كـل حـالاتهم ، أمـا الزوجات فقد يبتعد عنهن بالطلاق . .

ولفـظ (إنما) يـأتي للحصر والتـأكيـد ، وهـذا يكـون فيما إذا لم يـراع الإنسان أوامر الله فيما استخلفه من مال ، وفيما وهبه من أولاد .

والمال والأولاد لهم فتنتهم وتأثيرهم على تصرفات الإنسان ، وقد ورد التحذيـر من إغرائهم واتخاذهـم تفاخراً وتكـاثراً ، لكي لا يكونـوا سبباً في البعد عن الله وعن ذكر آلائه ، فقال سبحانه .

﴿يا أيها الذيـن آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عـن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ (من سورة المنافقون) .

ثم يعقب سبحانه هذا التحذير بـالأمر بالإنفاق من رزقه الذي رزقه عباده مـن قبل أن يأتي يوم لا مـرد له من الله ، فيتمنى الإنسـان أن يمهله ربـه ليتدارك مـافاتـه مـن خير، ولكن هيهـات : **﴿فـإذا جاء أجلهـم لا يستـأخرون سـاعـةً ولا يستقدمـون﴾** (سورة الأعـراف الآية ٣٤) فيقـول سبحانه :

﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبـل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنـي إلى أجل قـريب فأصّـدق وأكن من الصـالحين . ولن يـؤخر الله نفساً إذا جاء أجلهـا والله خبير بما تعملون﴾ (الآيتان مـن سورة المنـافقون رقم ١٠ و١١) .

والمال والأولاد أمانـة في يد راعيها ، وعليه هـو المحافظة عليهـا قدر

الفصل السابع :

التكافل وآثاره الاجتماعية

١ - ومن أبواب الفضل التي يحض عليها الإسلام وشريعته السمحة التكافل الذي يتجلى في عطف القوى على الضعيف، والغني على الفقير، والقادر على المسكين واليتيم . . وأن لا يكون في ذلك منّة ولا أذى، كي لا يضيع فضلهم عليهم .

وإن كلمة التكافل من الألفاظ التي تفيد اشتراك أكثر من واحد في تحقيق هذا المعنى الذي تتضمنه هذه الكلمة، كالتعاون والتآزر والتناصح . .

والكفالة في حدّ ذاتها تعني ضمان إنسان بماله أو بعمله أو بشخصه لشخص آخر أو لجهة أخرى . . وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة آل عمران :

﴿**وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا**﴾ (الآية ٣٧) .

وفي قوله تعالى أيضاً في سورة القصص :

﴿**فقالت هل أدلكم على أهل بيتٍ يكفلونه لكم**﴾ (الآية ١٢) .

وفي هاتين الآيتين يرد المعنى بضم المكفول إلى من يكفله ليقوم بتربيته وتعهد شأنه، وهذا المعنى ورد أيضاً في قوله ﷺ :

منهم أو ابتغى دسيعة ظلم[1] أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين. وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس»[2].

إن هذا النص يؤكد لنا أن المهاجرين والأنصار- ومن دخل معهم في دين الله- أصبحوا أمة واحدة بعد أن كانوا متباعدين بالنسب والولاء، وأصبحت ذمتهم واحدة ويجير عليهم أدناهم، وأنهم يد على من سواهم مهما كانت قرابته، وأن بعضهم موالي (نصراء) بعض دون الناس، أي أنهم يتناصرون في السراء والضراء، فيعطون الديات ويأخذونها، وكذلك يفكون أسراهم، ويقومون بوفاء الدين عن الغارمين، كل ذلك بالتكافل والتضامن فيما بينهم، لأنهم إخوة في الله.

وبهذه المعاني تشكلت منهم الأمة المسلمة، وبالاستناد إلى هذه المعاني انطلقت الدعوة الإسلامية بين الناس.

وكذلك نلمس معنى التكافل المادي والمعنوي في حديث الأشعريين الذين يقول عنهم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: فهم مني وأنا منهم» لأنهم يتآزرون في السراء والضراء، فيكونون مجموعة واحدة لا ينفرد واحد منهم عن الآخر..

«إنَّ الأشعريين كانوا إذا أجدبوا أو أرملوا جمعوا ماعندهم من زاد واقتسموه بينهم بالسوية فهم مني وأنا منهم»[3].

---

(١) دسيعة ظلم: اعطية تدفع على سبيل الظلم.
(٢) من كتاب (سيرة ابن هشام) ج ٢ ص١١٣.
(٣) متفق عليه.

وواجب على الدولة من الناحيـة الجماعية، لأن هذا الفرد الذي قصرت به إمكاناتـه، له حق على أفراد مجتمعه في أن يعيش كـريماً مثلهم، لا يشعر بمذلة أو انتقـاص، مادام لم يصدر عنه مـايوجب المؤاخذة، ولم يتقـاعس عن الأخذ بالأسباب، وهذا من الناحية المادية. .

غير أن الفـرد المسلم في مجتمعـه ولو زلـت بـه قدمـه، وانحدر نحـو الغوايـة، فإن النظرة إليـه هي نظـرة شفقة ورحمة، لا نظرة احتقـار وشماتة وهجران، تحاول أن تجد لـه العلاج المادي أو النفسي لتنتشلـه مما هـو واقع فيه، كمن تنـزلق به قدمـه، أو يصدمه شيء، أو يقع في حفـرة فهل يترك على حاله أم أنه يجد من يسارع إلى تقديـم العون لإنقاذه من هذه الحالة؟ وكذلك مـن زلت به قدمه من النـاحية المعنوية فإنه سيلقـى نفس المبادرة إلى المساعدة لانتشاله مما هو فيه.

وإن أبـرز مايصـف هـذا التعاون والتنـاصر ضد المفـاسـد المعنويـة والعجز المادي قول الرسول ﷺ:

«**المؤمن للمـؤمن كالبنيـان يشد بعضـه بعضا**»[1] بتماسكه وتعـاونه وتناصره بحيـث لايترك مكانـاً لضعف إلاّ سارع إلى تـرميمه وإحـاطته بما يكفل استمـرار سلامتـه، لأن سلامـة الفرد مـن سلامـة المجموع، فـإذا مادبّ الـوهن إلى لبنـة من لبنـات الهيكل العـام للمجتمع ولم ينتبـه إليها أحد، أو لم يقم بواجبه نحو نفسه في تدارك هذا النقص وسد هذه الثغرة، فإن البلاء سيعم دون أدنى ريب بالجميع عاجلاً أو آجلاً.

ولهذا شبّه الرسـول الأعظم تآزر المؤمنين فيما بينهم بـالبنيان المتماسك يشد بعضه أزر بعض باستمرار وتعاضد.

---

(١) متفق عليه.

عند الاقتضاء وفي حالة الأزمات، وعندها يعرف المجتمع المتماسك من غيره، ويقطف ثمار تكافله وتآزره في أيام الشدة والضيق.

وإن المسارعة إلى مد يد العون إلى من هو في حاجة إليه تكسب وده ونصرته، في وقت قد يكون هو فيه أفضل حالاً مما أصبحت عليه، وهذه المسارعة في مد يد العون عند الحاجة تمتص النقمة، من المغلوب على أمره، عن مجتمعه الذي لم يتخل عنه في ساعة العسرة، وتتركه يعيش في اطمئنان وأمان من أنه إذا قصّرت به الأسباب، فإن له في إخوانه من يرتفع به إلى المستوى اللائق به، وكأنه لم ينقصه شيء من حاجياته التي كان يوفرها لنفسه قبل ان يعجز عن ذلك، أو تحول دونه أسباب لا يد له فيها..

أما إذا كان هذا الفرد في أصله عاجزاً عن الكسب لسبب من الأسباب، فإن مدّ يد العون إليه بما فيه الكفاية تنقذه من شعور العجز، وتنتشله من الأفكار السوداء التي يوسوس له بها شيطانه..

فالتكافل في مدلوله يجعل التعاون بين أفراد المجتمع بعضهم مع بعض أمراً مسلماً وحقيقة واقعة لا تحتاج إلى بيان، لأن شعور الفرد بالنسبة لغيره، هو شعور غيره بالنسبة له، فهم وإن تعددوا في المجتمع، لكنهم كالجسد الواحد الذي يتكون من أعضاء عدة، لكل عضو نشاطه وأهميته، وكل عضو متصل بالعضو الآخر والأعضاء الأخرى بوحدة الشعور والاحساس والمصير.

ولهذا فإن اختلاف مكانة كل فرد في المجتمع لا تعدم الشعور فيما بينهم، لأن كل واحد منهم متمم للآخر، ويؤدي دوراً لا يؤديه سواه، أو لا يغني عنه آخر..

الفصل الثامن :

من أبواب الفصل :

١- الإحسان .
٢- أن تحسن إلى من أساء إليك .
٣- أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.
٤- الإحسان في كل شيء .
٥- أن تحسن إلى جارك .
٦- الإحسان للوالدين .

الفصل الثامن:

الإحســــان

لم أقـف في غيرالـديـن الإسـلامي على مفهـوم يقـارب في شمـولـه وعمومـه مفهوم الإحسان، فهو في الحقيقـة خلق إسلامي متميـز، وكلمة الاحسان تدل على معان جليلة، فهي:

أولاً: ان تحسن إلى من أساء إليك:

إن هذه الكلمـة تتجاوز المعاملـة بالمثل أو رد الجميـل أو الشكر على صنيع سـابق، وترتفـع بالمسلم إلى أن يحسـن إلى الناس، ولو لم يسبـق له منهم الإحسان، بل تصل إلى مرتبة أعلى وهي مقابلة الإساءة بالإحسان، وصدق الله العظيم:

﴿**ادفع بـالتي هـي أحسن السيئـة نحن أعلـم بما يصفون**﴾ (سورة المؤمنون الآية ٩٦)

وهذا خطـاب للرسـول ﷺ، أرشده فيـه ربه سبحـانه إلى التريـاق النـافع في مخالطـة الناس، وهـو الإحسان إلى مـن يسيء إليه ليستجلـب خاطره فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة[١].

---

(١) تفسيرابن كثيرج٣ ص٢٥٥.

جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل بابٍ . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ (سورة الرعد الآيات ٢٢-٢٤).

والرد على السيئة بالحسنة أمر لا يستطيع تحمله والإقدام عليه إلا من أوتي صبراً جميلاً وحظاً عظيماً، لقوله تعالى في ختام الآية التي يأمر فيها المسلم بأن يدفع بالتي هي أحسن:

﴿ومايلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظٍ عظيم﴾.

ويصف رب العالمين من آمن من أهل الكتاب بمحمد ﷺ وتحملوا عنت قومهم وبهتانهم بهذا الوصف الحميد فيقول سبحانه:

﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين﴾ (سورة القصص آيات من ٥٢-٥٥).

ودفع السيئة بالحسنة لا يكون إلا مع الصبر وتحمل الأذى، وبذلك ترتفع مرتبة الصبر إلى هذه الدرجة التي توصل المتعلق به إلى مراتب أولي العزم، لقوله تعالى:

﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ (سورة الشورى الآية ٤٣).

وقد قرن الله سبحانه وتعالى الصبر مع الإحسان في أكثر من آية، وجعل من يصبر من المحسنين فقال تعالى:

افترض نفسك أنك تعمل تحت إشراف مخلوق، وله عليك سلطة هو يراقبك ويتابع عملك بنفسه فكيف تكون حياله؟

إنك لا شك ستحرص على أن تؤدي عملك على أحسن وجه وأكمله، ضمن حدود استطاعتك.

ولما كان الله سبحانه وتعالى هو الرقيب علينا، وهو المطلع على خفايا نفوسنا، وهو الذي لا تغيب عنه شاردة ولا واردة، وهو السيد المطاع في كل شيء، لذلك كان الاحسان بهذا المعنى إحساناً لنفسك- أيها الإنسان- كي تتجنب غضبه وتتقي عذابه.

والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان اسأتم فلها**﴾ (سورة الاسراء الآية٧).

والله سبحانه وتعالى لم يتعبدنا بالمشقة، وإنما تعبدنا بما فيه استطاعتنا وقدرتنا، لقوله جل وعلا:

﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ (سورة البقرة الآية ٢٨٦).

فالتأكد دوماً من ان الله سبحانه وتعالى رقيب على الإنسان وهو معه أينما كان، يجعله في تقوى مستمرة، وفي احسان مستمر لنفسه وللناس أجمعين.

ومن حيث إن الإنسان تعترضه نوازع الشيطان فينحرف عن الصراط المستقيم فقد فتح الله له باب التوبة والمغفرة حتى يرجع إلى ربه معترفاً بذنبه ونادماً على مافرط في حق نفسه.

والتوبة الصادقة تمحو الذنوب. . وصدق الله العظيم:

﴿**فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم**﴾ (سورة المائدة الآية٢٩).

ويروى عنه ﷺ قوله :

عذّبتْ امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» (متفق عليه).

وإن رجلاً دخل الجنة بسبب إحسانه إلى كلب، حتى قال ﷺ : «**في كل كبد رطبة أجر**»، وتمام نص الحديث هو التالي :

«**بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له. قالوا : يارسول الله إن لنا في البهائم أجرا؟ فقال : في كل كبد رطبة أجر**».

وفي رواية للامام البخاري : فشكر الله فغفر له فأدخله الجنة.

وفي رواية أخرى للبخاري ومسلم : «**بينما كلب يطوف بركيّة قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني اسرائيل فنزعت خفها وأوثقته بخمارها فاستقت له فسقته فغفر لها به**».

وعن هشام بن زيد بن أنس بن مالك قال :

دخلت مع جدي أنس بن مالك رضي الله عنه دار الحكم بن أيوب، فإذا قوم نصبوا دجاجة يرمونها، فقال أنس : نهى رسول الله ﷺ ان تصبر البهائم. (أي أن تمسك، وتجعل هدفاً يرمى إليه حتى تموت).

وعن سعيد بن جبير قال : مَرَّ ابن عمر بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر : من فعل هذا؟ لعن الله من فعل

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره».

وقد نفى ﷺ الإيمان عمّن لم يأمن جاره بوائقه بقوله ﷺ:

«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومن يارسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه».

وهي مبالغة تنبيء عن تعظيم حق الجار وأن الإضرار به من الكبائر..

ومن الإحسان إلى الجار: السلام عليه عند لقائه، وطلاقة الوجه عند التحدث إليه، وتفقد حاله بالسؤال عنه في حال غيابه.. ومعاونته فيما يحتاج إليه، وكف أسباب الأذى عنه، على اختلاف أنواع ذلك حسية كانت أو معنوية.. وأن يهدي إليه فيما إذا طبخ أو ذبح أو غير ذلك من أسباب زيادة التواد والتحابب فيما بينهم..

وفي حديث جامع لرسول الله ﷺ يجيب به معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما سأله، ما حق الجار على الجار؟:

«قال: إن استقرضك أقرضته، وإن استعانك أعنته، وإن مرض عدته، وإن احتاج أعطيته، وإن افتقر عدت عليه، وإن أصابه خير هنيته، وان اصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له، وإن اشتريت فاكهة فاهد له، وإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده». (من كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١٠ ص٤٤٦).

المحرمات من الكبائر وهذا يفيد أن عدم الإحسان إليهما هو من أشد المحرمات التي ينهى عنها الإسلام، ويشدد في هذا النهي، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً، قالوا: بلى. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئاً، ألا وقول الزور، فمازال يكررها حتى قلت (الراوي) ليته سكت».

(إن تغيير الجلسة بعد بداية الحديث يشير إلى أهمية مايريد ان يحذرهم منه).

وفي هذا الحديث يقرن الرسول ﷺ بين الإشراك بالله، وهذا من أكبر الكبائر وبين عقوق الوالدين، ويجعل التحذير من الوقوع في ذلك من الكبائر التي نهى الله عنها.

والله سبحانه يوصي الإنسان بوالديه إحساناً ولو كانا على الشرك، أو جاهداه على ان يعود إلى الشرك، ويأمره سبحانه بأن يطيعهما الا في العودة إلى الشرك، وأن يبقى على حسن الصلة بهما، وأن يحافظ على برهما، وأن يصاحبهما في الدنيا معروفاً، وهذا أعلى ماوصلت إليه الدعوة إلى البر والاحسان إلى الوالدين، ولنقرأ قوله تعالى بهذا الخصوص، يقول سبحانه:

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وأن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ (سورة العنكبوت الآية ٨).

ويؤكد سبحانه وتعالى هذا المعنى في سورة لقمان ويزيده أيضاحاً

ورعايتهما والحرص على رضاهما وتجنب أذاهما ولـو بكلمة (اف)، أمر ليس له مثيل في غير الإسلام، لأن معاملة المسلم لـوالديه تقوم على أساس هذا التوجيه السديد وتبنى عليه، لا على الصلات المادية والمنافع الدنيوية.

ويروى عن الرسول ﷺ قوله حول كلمة (اف):

«لو علـم الله من العقوق شيئاً أردأ مـن (افٍ) لذكره، فليعمـل البار ماشـاء أن يعمل فلن يـدخل النار، وليعمل العـاق ماشاء ان يعمـل فلن يدخل الجنة» (تفسير القرطبي ج١٠ ص٢٤٣).

وكلمـة (افٍ) تقـال لكـل شيء مـرفـوض ومكـروه، يتضجـر منـه الإنسان (ويتأفف) ولـذلك قال إبراهيم عليه السلام لقومـه وهو في حالة تبرم منهم ومما يعبدون:

﴿**أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله**﴾ (سورة الأنبياء الآية ٦٧).

أي رفضا وكرها وضيقا بكم وبهذه الأصنام معكم.

والإحسـان إلى الوالـديـن يتم في حيـاتهما وبعـد مماتهما، ويكـون في حياتهما بـأن تحفظ حقوقهما وتـرعاهما، وأن لا تسيء إليهما بشيء يكرهـانه منك بقول أو عمل، وأن تحرص على رضاهما مالم يأمراك بمحرّم.

والإحسـان إلى الـوالـديـن بعد مـوتهما أن يحفـظ ودهما وأن يـدعـو ويستغفر لهما.

عـن ابن أسيـد رضي الله عنـه قال: كنـا عنـد رسول الله ﷺ فقـال رجل:

يارسول الله، هل بقي من برّ أبويّ شيء بعد موتهما أبرهما؟

قال: «**نعـم، خصال أربـع: الدعـاء لهما والاستغفار لهما، وإنفـاذ**

المصادر والمراجع

الكتـــــاب　　　　　　　　　　　　المؤلـــــف

١ - القرآن الكريم .

٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبدالباقي .

٣ - فيض الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن على بن حجر العسقلاني .

٤ - صحيح الامام البخاري- محمد بن اسماعيل البخاري .

٥ - مسند أحمد بن حنبل - أحمد بن حنبل الشيباني .

٦ - اعلام الموقعين عـن رب العالمين- شمـس الدين ابـوعبدالله محمـد بن أبي بكـر المعروف بابن قيّم الجوزية .

٧ - الحسبـة لابن تيميـة - تقـي الديـن ابوالعبـاس أحمد بـن عبدالحليـم بـن عبدالسـلام الحاني الدمشقي المعروف بابن تيمية .

٨- الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح- للامام ابن تيمية .

٩ - لسان العرب - أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري .

١٠- النهـايـة في غريـب الحديـث والأثـر- مجد الديـن ابـوالسعـادات المبارك بـن محمـد الجزري المعروف بابن الأثير.

١١- الصحـاح- تاج اللغـة وصحاح العـربيـة - اسماعيل بـن حماد الجوهري تحقيـق أحمد عبدالغفور عطار.

١٢-صحيح الامام مسلم - ابوالحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم .

١٣- الكامـل في التاريـخ لابن الأثير- ابـوالحسن على بن أبي الكـرم محمد بـن عبدالكـريم ابن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين .

١٤- الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد- مصطفى أحمد محمد الزرقاء .

آثار المؤلف

١- المطبــوعة :

١- الدساتير السورية بعد الانتداب (دراسة دستورية مقارنة) باللغة الفرنسية .

٢- المدخل إلى القانون المدني والالتزامات -طبع جامعة حلب .

٣- الشورى في الإسلام - دار الارشاد- بيروت .

٤- في التشريع النبوي- دار الارشاد - بيروت .

٥- الاقتصاد في ضوء الشريعة الإسلامية - دار الكتاب اللبناني- بيروت .

٦- المال في الإسلام- دار الكتاب اللبناني- بيروت .

٧- السوق الإسلامية المشتركة- دار الكتاب اللبناني- بيروت .

٨- الشركـات التجاريـة . دراسـة لنظام الشركـات السعـودي- المؤسسة العلميـة- حلب .

٩- الأوراق التجـاريــة . دراسـة لنظـام الأوراق التجــاريـة السعــودي المؤسسـة العلمية- حلب .

١٠- الأسس الفكرية والعلمية للاقتصاد الإسلامي . دار الرفاعي - الرياض .

١١- معـاني الاخـوة في الإســلام ومقـاصـدهـا . رابطـة العـالم الإسـلامـي- مكـة المكرمة .

١٢- الشورى- سلوك والتزام . رابطة العالم الإسلامي- مكة المكرمة .

١٣- المصارف الإسلامية ضرورة صحية . المكتب الإسلامي - بيروت .

١٤- خصـائص الاقتصاد الإسـلامي وضـوابطه الأخـلاقية . المكتـب الإسلامـي - بيروت .

١٥- الكسب والانفـاق وتوزيـع الثروة في المجتمـع الإسلامـي . المكتب الإسـلامي

محتويات الكتاب

صدر من هذه السلسلة

١ - تأملات في سورة الفاتحة ------------ الدكتور حسن باجودة
٢ - الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه ------ الأستاذ أحمد محمد جمال
٣ - الرسول في كتابات المستشرقين -------- الأستاذ نذير حمدان
٤ - الاسلام الفاتح ------------------ الدكتور حسين مؤنس
٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري ---------- الدكتور حسان محمد مرزوق
٦ - السيرة النبوية في القرآن ----------- الدكتور عبد الصبور مرزوق
٧ - التخطيط للدعوة الاسلامية --------- الدكتور محمد علي جريشة
٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية الدكتور أحمد السيد دراج
٩ - التوعية الشاملة في الحج ------------ الأستاذ عبد الله بوقس
١٠- الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره --------- الدكتور عباس حسن محمد
١١- لمحات نفسية في القرآن الكريم --------- د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢- السنة في مواجهة الأباطيل ------------ الأستاذ محمد طاهر حكيم
١٣- مولود على الفطرة ----------------- الأستاذ حسين أحمد حسون
١٤- دور المسجد في الاسلام -------------- الأستاذ محمد علي مختار
١٥- تاريخ القرآن الكريم ----------------- الدكتور محمد سالم محيسن
١٦- البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام - الأستاذ محمد محمود فرغلي
١٧- حقوق المرأة في الإسلام -------------- د. محمد الصادق عفيفي
١٨- القرآن لكريم كتاب أحكمت آياته [١] --- الأستاذ أحمد محمد جمال
١٩- القراءات أحكامها ومصادرها ----------- د.شعبان محمد اسماعيل
٢٠- المعاملات في الشريعة الاسلامية ------- الدكتور عبد الستار السعيد
٢١- الزكاة فلسفتها وأحكامها --------------- الدكتور علي محمد العماري
٢٢- حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم - الدكتور أبو اليزيد العجمي
٢٣- الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ------ الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٢٤- الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ---- الدكتور عدنان محمد وزان
٢٥- الإسلام والحركات الهدامة -------------- معالي عبد الحميد حمودة
٢٦- تربية النشء في ظل الاسلام ------------ الدكتور محمد محمود عمارة
٢٧- مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي ------ د. محمد شوقي الفنجري
٢٨- وحي الله ---------------------------- د. حسن ضياء الدين عتر
٢٩- حقوق الانسان وواجباته في القرآن ----- حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠- المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية - الأستاذ محمد عمر القصار

٦١-	بين علم آدم والعلم الحديث	الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
٦٢-	المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان	د. محمد الصادق عفيفي
٦٣-	من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]	الدكتور رفعت العوضي
٦٤-	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥-	لماذا وكيف أسلمت [١]	الشهيد أحمد سامي عبد الله
٦٦-	أصلح الأديان عقيدة وشريعة	الأستاذ عبد الغفور عطار
٦٧-	العدل والتسامح الاسلامي	الأستاذ أحمد المخزنجي
٦٨-	القرآن كتاب أحكمت آياته [٤]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٦٩-	الحريات والحقوق الاسلامية	محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠-	الانسان الروح والعقل والنفس	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١-	كتاب موقف الجمهوريين من السنة النبوية	الدكتور شوقي بشير
٧٢-	الاسلام وغزو الفضاء	الشيخ محمد سويد
٧٣-	تأملات قرآنية	الدكتورة عصمة الدين كركر
٧٤-	الماسونية سرطان الأمم	الأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله
٧٥-	المرأة بين الجاهلية والاسلام	الأستاذ سعد صادق محمد
٧٦-	استخلاف آدم عليه السلام	الدكتور على محمد نصر
٧٧-	نظرات في قصص القرآن [٢]	محمد قطب عبد العال
٧٨-	لماذا وكيف أسلمت [٢]	الشهيد أحمد سامي عبد الله
٧٩-	كيف نُدَرِّس القرآن لأبنائنا	الأستاذ سراج محمد وزان
٨٠-	الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ	الشيخ أبو الحسن الندوي
٨١-	كيف بدأ الخلق	الأستاذ عيسى العرباوي
٨٢-	خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٨٣-	المرأة المسلمة بين نظرتين	الأستاذ صالح محمد جمال
٨٤-	المبادىء الاجتماعية في الاسلام	محمد رجاء حنفي عبد المتجلى
٨٥-	التآمر الصهيوني الصليبي على الاسلام	د. ابراهيم حمدان علي
٨٦-	الحقوق المتقابلة	د. عبد الله محمد سعيد
٨٧-	من حديث القرآن على الانسان	د. على محمد حسن العماري
٨٨-	نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة	محمد الحسين أبو سم
٨٩-	أسلوب جديد في حرب الاسلام	جمعان عايض الزهراني
٩٠-	القضاء في الاسلام	سليمان محمد العيضي

١٢١- الاسلام هو الحل	القاضي الشيخ محمد سويد
١٢٢- نظرات في قصص القرآن	الأستاذ محمد قطب عبد العال
١٢٣- من حصاد الفكر الاسلامي	د. محمد محي الدين سالم
١٢٤- خواطر اسلامية	الأستاذ ساري محمد الزهراني
١٢٥- الاسلام ومكافحة المخدرات	الأستاذ اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٢٦- دروس تربوية نبوية	الأستاذ صالح أبو عراد الشهري
١٢٧- الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل	د. عبد الحليم عويس
١٢٨- من سمات الأدب الإسلامي	د. مصطفى عبد الواحد
١٢٩- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٣٠- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الثاني]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٣١ - المسجد البابري قضية لا تنسى	عبد الباسط عز الدين
١٣٢ - التدريس في مدرسة النبوة	د. سراج عبد العزيز الوزان
١٣٣ - الإعلام الإسلامي ووسائل الإتصال الحديثة	الأستاذ ابراهيم إسماعيل
١٣٤ - تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام	د. حسن محمد باجودة
١٣٥ - منهاج الداعية	الأستاذ أحمد أبو زيد
١٣٦ - في جنوب الصين	الشيخ محمد بن ناصر العبودي
١٣٧ - التنمية والبيئة دراسة مقارنة	د. شوقي أحمد دنيا

طبع بمطابع رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة

٣١- القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] ---------- الأستاذ أحمد محمد جمال
٣٢- الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج ---------- الدكتور السيد رزق الطويل
٣٣- الاعلام في المجتمع الاسلامي ---------- الأستاذ حامد عبد الواحد
٣٤- الالتزام الديني منهج وسط ---------- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
٣٥- التربية النفسية في المنهج الاسلامي ---------- الدكتور حسن الشرقاوي
٣٦- الاسلام والعلاقات الدولية ---------- د. محمد الصادق عفيفي
٣٧- العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية - اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨- معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها ---------- الدكتور محمود محمد بابللي
٣٩- النهج الحديث في مختصر علوم الحديث ---------- الدكتور علي محمد نصر
٤٠- من التراث الاقتصادي للمسلمين ---------- د. محمد رفعت العوضي
٤١- المفاهيم الاقتصادية في الاسلام ---------- د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢- الأقليات المسلمة في أفريقيا ---------- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٣- الأقليات المسلمة في أوروبا ---------- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٤- الأقليات المسلمة في الأمريكتين ---------- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٥- الطريق إلى النصر ---------- الأستاذ محمد عبد الله فودة
٤٦- الاسلام دعوة حق ---------- الدكتور السيد رزق الطويل
٤٧- الاسلام والنظر في آيات الله الكونية ---------- د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨- دحض مفتريات ---------- د. البدراوي عبد الوهاب زهران
٤٩- المجاهدون في فطان ---------- الأستاذ محمد ضياء شهاب
٥٠- معجزة خلق الانسان ---------- د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١- مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية ---------- د. سيد عبد الحميد مرسي
٥٢- ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي والماركسي - الأستاذ أنور الجندي
٥٣- الشورى سلوك والتزام ---------- لدكتور محمود محمد بابلي
٥٤- الصبر في ضوء الكتاب والسنة ---------- أسماء عمر فدعق
٥٥- مدخل إلى تحصين الأمة ---------- الدكتور أحمد محمد الخراط
٥٦- القرآن كتاب أحكمت آياته [٣] ---------- الأستاذ أحمد محمد جمال
٥٧- كيف تكون خطيبًا ---------- الشيخ عبد الرحمن خلف
٥٨- الزواج بغير المسلمين ---------- الشيخ حسن خالد
٥٩- نظرات في قصص القرآن ---------- محمد قطب عبد العال
٦٠- اللسان العربي والاسلامي معاً في مواجهة التحديات الدكتور السيد رزق الطويل

- بيروت .

١٦- اعمار الأرض في الاقتصاد الإسلامي واستثمار خيراتها فيما ينفع الناس . المكتب الإسلامي - بيروت .

١٧- الحرية الاقتصادية في الإسلام . رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .

١٨- إلى الشباب المسلم في غربته . مطابع دار الشبل - الرياض .

١٩- الإنسان وحريته في الإسلام . مطابع دار الشبل - الرياض .

٢٠- مصادر تحويل الدولة الإسلامية . مطابع دار الشبل - الرياض .

٢١- في منطلق الدعوة والخلافة الراشدة .

٢- الجاهزة للطبع :

- زواج المسلمة بغير مسلم وحكمه وتحريمه .
- لطائف الفكر في الملح والآداب والعبر .
- الشورى في الإسلام - تناصح وتعاون .
- الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل .
- نظرات ابن خلدون الاقتصادية .
- تصنيف موضوعات القرآن الكريم .
- الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في المال والاقتصاد .
- الاحسان خلق إسلامي .
- قبسات نورانية من سيرة صاحب الخلق العظيم ﷺ .
- مقام المرأة في الإسلام .
- التوجيه الاجتماعي في الإسلام .

١٥- لمحة من تاريخ التشريع الإسلامي- مناع خليل القطان (بحث في محاضرات العالم الإسلامي عام ١٣٨٦ ص٢١٢.
١٦- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي أ. ي. ونسنك وي. ب منسنج.
١٧- سنن الدارقطني - على بن عمر الدارقطني.
١٨- زاد المعاد في هدى خير العباد- لابن قيّم الجوزية.
١٩- موطأ الامام مالك - مالك بن أنس.
٢٠- سنن الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي.
٢١- سنن أبي داود- سليمان بن الأشعث السجستاني.
٢٢- تفسير ابن كثير- ابوالفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي.
٢٣- سيرة ابن هشام- ابومحمد عبدالملك بن هشام تحقيق الدكتور خليل هراس.
٢٤- تاريخ الطبري (تاريخ الامم والملوك) - أبوجعفر محمد بن جرير الطبري.

عهدهما، وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لارحم لك إلامن قبلهما» (رواه أبوداود وابن ماجة).

ومن البر في حياتهما ومماتهما ان لا يعرضهما للسب، فإن ذلك من الكبائر بلا خوف، لقول النبي ﷺ:

«إن من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا: يارسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه».

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والاحسان خامساً: هو الاحسان للوالدين:

رفع الإسلام شأن الوالدين وأعظم مكانتهما، وأمر بالإحسان إليهما ورعايتهما وأكثر من التوصية بهما تأكيداً لحقهما على الأولاد، وقرن الدعوة إلى الإحسان إليهما بعبادته وعدم الإشراك به، وقضى أمره بذلك، كما قضى أمره بعبادته وحده، وهذه منزلة لم نجد لها مثيلاً في القرآن العظيم لغير الوالدين.

هذه الدعوة من الله سبحانه سبقت التوصية بها لبني اسرائيل من قبل، فقال تعالى:

﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون﴾ (سورة البقرة الآية ٨٣).

ثم جاءت التوصية من الله سبحانه لعباده المؤمنين في سورة النساء وهو يتحدث عن أحوال الأسرة، ويقدم الدعوة بالإحسان إلى الوالدين على كل أفعال الخير، وذلك بعد الأمر بعبادة الله وعدم الاشراك به، فيقول سبحانه:

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم . ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ولاتقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن . .﴾ (إلى آخر الآية والآية التي بعدها رقم ١٥١-١٥٢ من سورة الانعام).

وقد ورد ذكر الإحسان إلى الوالدين بعد تحريم الاشراك بالله في عداد

هذا . . ان رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً .

فالإحسان بمفهومه الإسلامي لانظيرله اطلاقاً، لأنه يشمل الإنسان نفسه، ويشمل الخلق عامة .

والخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، والنفع المذكور هو من الإحسان أيضاً، وهو يشمل الحيوانات جميعها . . أو بشكل أدق وأوضح فإنه يشمل كل ذي روح إطلاقاً، ولو كان الحيوان مضراً أو مؤذياً، لأن تعذيب الحيوان منهي عنه كتعذيب الإنسان حياً أو ميتاً .

وللإنسان أن يقتل الحيوان المؤذي دون أن يعذبه .

وإن تعذيب الميت هو التمثيل به بعد وفاته، وقد نهى عليه الصلاة والسلام أن يمثل بقتلى المشركين على الرغم من تمثيلهم بعمه حمزة رضي الله عنه .

والإحسان رابعاً: أن تحسن إلى جارك:

إن العلاقات الاجتماعية بين بني البشر متشابكة، لحاجة بعضهم إلى بعض، وإن اقرب الناس إلى الإنسان هم جواره- بعد أهله وذويه، وقد يكون أهله غير مجاورين له- فيكون الجار أكثر صلة والتقاء بجاره . . ولذلك ورد التأكيد على حسن معاملة الجار بشكل جعل الرسول ﷺ يقول :

«مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (رواه البخاري) .

وروى الامام مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال :

ويقول جل شأنه :

﴿والله يدعـو إلى دار السلام ويهدي مـن يشاء إلى صراطٍ مستقيـم . للـذين أحسنـوا الحسنـى وزيـادة ولا ترهـق وجـوههـم قتر ولا ذلة أولئـك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ (سورة يونس الآيتان ٢٥-٢٦) .

والإحسان ثالثاً : وهو الإحسان في كل شيء :

روى الامـام مسلم في صحيحـه عن شـداد بن أوس رضي الله عنـه عن الرسول ﷺ انه قال :

«إن الله كتب الاحسـان على كل شيء ، فـإن قتلتم فـأحسنوا القتلـة وإن ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» .

ابتـدأ الرسـول الكريـم قولـه في هـذا الحديث الشريـف بالتعميـم والإطلاق ، فقال :

إن الله كتب الاحسان على كل شيء .

ومـن ثـم انتقـل ﷺ إلى التخصيـص ، فذكـر حـالـة مـن حـالات الإحسان تتعلق بالحيوان فقال :

فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة . . إلى آخر ماجاء في الحديث المستشهد به .

وهـذا التخصيص مـن الـرسول ﷺ في كيفيـة ذبـح الحيوان المعـد للذبـح يؤكد لنـا ان الإسلام دين الرحمة . . هـذه الرحمة التي شملـت كل شيء ، ولم تقتصر فقـط على الجنـس البشري ، وإنما شملت المخلـوقـات جميعاً ، لأن التعذيب محرم في الإسلام ، ولو كان لحيوان مفترس ، أو لعدو غاشم .

﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . واصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين﴾ (سورة هود الآيتان ١١٤-١١٥).

والإحسان ثانياً: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» :

فالإحسان هنا يفيد الاخلاص في العبادة كما يفيد المراقبة وحسن الطاعة.

وهذا الايضاح لمعنى الاحسان، كما قاله عليه الصلاة والسلام، هو أوسع إيضاح وأبلغه، لأنه غاية مايمكن أن يتوصل إليه الإنسان هو الإخلاص في العبادة ومراقبة الله في كل عمل والإخلاص شرط في صحة الإيمان والإسلام معاً، ذلك أن من تلفظ بالكلمة وجاء بالعمل من غير نية إخلاص، لم يكن محسناً، ولاكان إيمانه صحيحاً. ومن راقب الله في جميع أموره حسن عمله وصلح حاله واستقام نهجه، لأن الإنسان إذا تيقن أن الله سبحانه وتعالى يراه في كل عمل أو تصرف يقوم به، وأنه رقيب عليه، وأنه لا يخفى عليه شيء من تصرفاته وأقواله عدّل من نهجه وسلك الطريق المستقيم.

ويجدر بنا في هذا الصدد، أن نقدم هذه الفرضية التالية لتكون مثلاً نستعين به على فهم هذا المعنى من الإحسان، ولندرك ان الله سبحانه وتعالى هو أجل واعظم وأكبر من كل مخلوق، فنتقي محارمه ونحرص على رضاه :

وهكذا فإن الإسلام رفع مرتبة الإحسان بأن جعله جزاء للسيئة ودواء لها، وبذلك سل سخائم النفوس وقضى على الضغائن فانقلب العدو بفعل هذه المعاملة الحسنة إلى صديق مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (سورة فصلت الآيتان ٣٤-٣٥).

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية انه قال:

«أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعقل عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم وكأنه وليّ حميم»(١).

وهذه من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات التي ترتفع بالمسلمين، فيما إذا تمسكوا بها إلى مرتبة الفضل، وهي مرتبة الاحسان التي أمر الله بها، جامعاً بينها وبين مرتبة العدل في قوله سبحانه:

﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (سورة النحل الآية ٩٠) وقد جاء الإحسان بعد العدل تنبيهاً على أثره على النفوس.

وكذلك فقد وصف الله عباده المؤمنين بأنهم يدرؤون بالحسنة السيئة فقال سبحانه:

﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار،

(١) المرجع السابق ج٤ ص١٠٢.

وهكذا أفراد الأمة فإنهم يختلفون بالقدرات والاستعدادات ويتفاوتون بالأرزاق ولكنهم من حيث إنهم يعيشون في مجتمع واحد، فإن كل واحد منهم يجب أن يحصل على كفايته المعاشية من مجتمعه مادام يؤدي واجبه بالتعاون مع الآخرين.. وأن لا يشعر عند حصول حد الكفاية بأية مذلة أو منقصة، لأن مايحصل عليه هو حق من حقوقه.

والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه.

ويصف الرسول الأعظم المؤمنين في وحدة شعورهم ووحدة مصيرهم ومدى إحساسهم بما يصيب بعضاً منهم بالجسد الواحد فيقول:

- **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**(١).

وهذا أبلغ وصف وأدقه في أن المجتمع الإسلامي مجتمع فرد، أي أنه مجتمع واحد من حيث وحدة الشعور والاحساس بحيث يتأثر المجتمع بأسره فيما إذا أصيب فرد منه، كما يتأثر الجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه.

وكذلك يقول عليه الصلاة والسلام في هذا المعنى:

- **«المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم»**(٢)

وكلمة (يد على من سواهم)، تفيد وحدة المجتمع أيضاً، لأن اليد هنا تعني يد الجميع وكأنها يد واحدة، أي أنها تتصرف تصرف اليد الواحدة في كل أمورها.

وهذه التشبيهات جميعها تؤكد وحدة المجتمع الإسلامي في إحساسه وشعوره، وتداعيه إلى التناصر والتعاون والتآزر، ومن ثم التكافل بحيث إن كل واحد من أفراد هذا المجتمع كافل ومكفول، كما إنه راع ومسؤول.

٣- إن التكافل بين أفراد المجتمع لا يبرز بصورة واضحة وجلية إلاّ

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.

فالأشعريون في تصرفهم هذا ضربوا المثل لغيرهم من أنهم عند الضيق يسارعون في توحيد إمكاناتهم- على اختلاف قدرات وسعة كل واحد منهم- ويجعلونها تحت تصرف الجميع لتقسم بينهم بما تسد حاجتهم الضرورية بالتساوي من الناحية المعاشية، ولم ينفرد أي منهم بما كان له قبل اقتضاء هذا التوحيد.

وهذا ماطبقه أيضاً من الناحية العملية أبوعبيدة بن الجراح، في حديث رواه جابر رضي الله عنهما قال:

«بعث رسول الله ﷺ بعثاً قِبَلَ - أي تجاه- الساحل فأمر عليهم أباعبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة وأنا فيهم فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبوعبيدة بأزواد الجيش فجمع ذلك كله فكان مزودي تمر[1]، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة، فقلت[2]: وماتغني التمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت. قال: ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الظرب[3] فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة، ثم أمر أبوعبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ثم أمر براحلة فرحلت ثم مرت تحتهما فلم تصبهما».

٢- هذا وإن توفير الأسباب التي تضمن للفرد الذي قصّرت به إمكاناته وظروفه، أن يجد من يرتفع به إلى المستوى اللائق، من حيث إنه إنسان وفرد من أبناء هذا المجتمع دون أن تهدر كرامته أو تمتهن شخصيته، إن توفير هذه الأسباب واجب على القادر من الناحية الفردية

(١) مزود: مايوضع فيه الزاد.
(٢) هشام: أحد رواة الحديث عن جابر.
(٣) الظرب بكسر الراء: الجبل الصغير.

«**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة**» وضم بين أصبعيه السبابة والوسطى[١].

فالكافل هو القائم بأمر اليتيم المربي له، وهو من الكفالة بمعنى الضمان والرعاية: الضمين[٢].

فكلمة التكافل بمفهومها العام تعني التضامن، أي أن يضمن كل فرد قادر فرداً آخر، بحيث يعم ذلك الجميع فيشكلون بهذا التآزر والتمازج أمة متماسكة يشد بعضها أزر بعض.

وهذا ماسجله الرسول ﷺ، وأقرّه بحق المسلمين المتآخين في الله، في أول دستور وضعه للدولة المسلمة بعد مقدمه إلى المدينة، وادَعَ فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم فقال في مطلع الكتاب بما يخص هذه الأمة الناشئة:

«هذا كتاب من محمد النبي، ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم[٣] يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم[٤] بالمعروف والقسط بين المسلمين.

وقال عن الأنصار: «**إنهم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وإن كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين**».

وقال عن الفئتين من المهاجرين والأنصار:

«**وإن المؤمنين لايتركون مُفْرَحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل**[٥]، وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغى

(١) رواه الامام الترمذي.
(٢) من كتاب (غريب الحديث والأثر) لابن الأثير.
(٣) ربعتهم: أمرهم الذي كانوا عليه.
(٤) عانيهم: أسيرهم.
(٥) المفرح: المثقل بالدين.

الاستطاعة، لقوله سبحانه: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم**﴾، فإذا أدّى حق الله فيهم، فقد أعذر، والله سبحانه أوضح لنا الطريق، وهي السمع لأوامره وأوامر رسوله، ومن ثم الإطاعة: ﴿**ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**﴾ (من سورة النور الآية ٥٢).

والإنفاق هو ختام التوجيه الإلهي السديد، وهو مفتاح النفس الخيّرة، وبه يستطيع الإنسان أن يشتري غيره، من ولد وزوجة وقريب، بإحسانه وكرمه، على أن يكون الإنفاق بالمعروف وفي وجوه مشروعة، وهذا الإنفاق في حقيقته خير للإنسان ذاته، لأنه يعود عليه بالذكر الحسن والأثر الطيب في دنياه وآخرته: ﴿**ومن يوق شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾.

وهذا الإنفاق يتقبله سبحانه وكأنه قرض له، وهو سبحانه الغني عن خلقه، مادام صادراً عن نفس سمحة دون منّة أو أذى، والله سبحانه، تعهّد للمنفق أن يضاعفه له، أي أنه يزيده من فضله أضعافاً مضاعفة، لأنه سبحانه شكور يجزي على القليل بالكثير، وحليم يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن السيئات، وهي الصفات التي وجّه الله سبحانه عباده المؤمنين أن يتحلوا بها.

وهو سبحانه عالم الغيب فلا يخفى عليه شيء، كما أنه عالم الشهادة يراقب كل شيء، وهو العزيز في سلطانه، والحكيم في تصرفه وتدبيره.

أن يقع فيه، لولا سرعة استجابته لمثل هذه الطلبات غير الموزونة، فيشتد عليهم أو يقسوا، وهنا جاء التوجيه الكريم بالحض على العفو وعلى الصفح وعلى الغفران . .

وعلى الرغم من تقارب معانيها . فإن لكل منها مدلوله الخاص به .

فالعفو: هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه تلقائياً .

والصفح : هو الإعراض عن الذنب نتيجة طلب المسيء، والصفح في صفة الله : العفو عن ذنوب عباده معرضاً عن مجازاتهم بالعقوبة، واستصفحه ذنبه : استغفره إياه وطلب منه ان يصفح عنه .

والغفران : من غفر، والغفور والغفّار، هما من أسماء الله الحسنى، ومعناهما الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، وأصل الغفر: التغطية والستر.

فهذه التوجيهات والتحذيرات تحمل تأكيدات متكررة بأن يراعي الأزواج والآباء أحوال زوجاتهم وأولادهم، وأن يتجاوزوا عما صدر عنهم مع الحذر منهم خوفاً من أن يقعوا في تصرفات تكون عواقبها غير سليمة، أي أن عليهم أن يعملوا عقولهم قبل عواطفهم في معاملة الزوجات والأولاد . .

وإن العداوة أمر غير مرغوب فيه، فإذا أفرط الزوج أو الوالد في التساهل والمسارعة في هواهم، تمادوا في الشطط، حتى إذا أراد الوقوف أمامهم بحزم صعب عليه ردعهم وتحول أمرهم إلى مخالفة ثم إلى عداوة . . والله سبحانه لم يغفل التذكير بذلك، ومع احتمال وقوع العداوة فإنه سبحانه يوجه الأزواج والآباء إلى العفو والصفح والمغفرة . .

ثم يعقب سبحانه بقوله : ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده**

أعدائهم، كان في ابتداء الإسلام، فقد صدر الأمر إليهم بالصبر على أذى المشركين وأذى أهل الكتاب، ليكون ذلك كالتأليف لهم، وكان قدوتهم في تحمل الأذى محمد رسول الله ﷺ، إذ لم يقابلهم بالإساءة أو رد الأذى، وكذلك كان صحابته الأولون، طمعاً في أن ترق قلوب المشركين في مكة ويرتدعوا من أنفسهم، ويهديهم الله إلى الإسلام، غير أنهم لم يقدروا هذه المعاملة المسالمة، فأمعنوا بالإيذاء حتى أجمعوا على قتله وإضاعة دمه في القبائل، ولكن الله ردّ كيدهم وأنجى رسوله وجعل له الغلبة عليهم، بعد أن مكنه الله سبحانه منهم، فلم يقابلهم بالمثل وإنما تجاوز عن كل ماصدر عنهم نحوه ونحو أصحابه وغفر لهم ماسبق بحقه منهم ولم يكرههم على اعتناق الإسلام، وإنما ترك لهم الحرية في اعتناقه، فأقبلوا راغبين فيه وأصبحوا من أنصار دعوته بعد أن كانوا من ألدّ أعدائه وأشدهم على رسول الله وعلى صحابته الأولين، وبخاصة على المستضعفين منهم[1].

وإن الله سبحانه بتوجيهه الكريم في أن يغفر المؤمنون لمن لا يؤمن بالله، لم يتجاوز عن هؤلاء الذين لا يرجون أيام الله، وإنما أنذرهم بأنه سيجازيهم بما كانوا يكسبون. . أي وفقاً لما صدر عنهم ﴿**ليجزي الذين أساءوا بما عملوا**﴾. (سورة النجم الآية ٣١).

وأكد سبحانه بأن من يعمل صالحاً فإنما يعمله لنفسه، لأن الله غني عن العالمين، وأن الذين يسيؤون في أعمالهم، فإن إساءتهم مردودة عليهم وسيجازيهم الله بها يوم القيامة، في اليوم الذي يكذبون بلقائه، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله.

(١) انظر الفصل الأول من الباب الثاني من هذا الكتاب الفقرة الثانية منه: (ماذا ترون أني فاعل بكم؟).

٢- التجاوز عن اساءات أعداء الله

إن التعامل مع الآخرين من قريب أوبعيد، ومن محب أو عدوّ، يجب ان يكون كما يأمر الله، صدقاً ونصحاً وتسامحاً وتجاوزاً، لأن أثر هذا التعامل يعود بالحسنى على من يتعامل معهم الإنسان، ويلين من جانبهم مهما كانت خصومتهم، ويكسبهم مستقبلاً إلى جانبه، أو يخفف من شدة غلوائهم وخصومتهم . .

وقد أثبتت التجارب صدق هذا التوجيه الكريم وبخاصة مع الذين عادوا هذا الدين من المشركين ومن أهل الكتاب، فأقبل العرب عامة (من المشركين) على اعتناق الإسلام، وانتقلوا من معاداته إلى الزود عنه ونشره بين الناس، كما آمن عدد كبير من أهل الكتاب، بعد أن تثبتوا من صدق دعوة الرسول ﷺ، وتجاوزه عن المسيء وعدم مؤاخذته لمن أجرم بحقه.

يقول رب العالمين:

﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم. لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ (من سورة الممتحنة الآيتان ٧و٨).

إن مثل هذه المعاملة تجذب قلوب الآخرين وقد تجعل منهم أنصاراً بعد أن كانوا أعداء . .

﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من

وبقرت عـن كبد حمزة فلاكتهـا ، فلم تستطع ان تستسيغهـا فلفظتها . . ص(١١١) .

(ووجد حمزة ببطـن الوادي قد بُقـر بطنه عـن كبده ومثل بـه فجدع أنفه وأذناه ، فحين رآه رسول الله ﷺ قال :

«لـولا أن تحزن صفية (شقيقـة حمزة) أو تكـون سنَّـةً بعدي ، لتركتـه حتـى يكون في أجـواف السباع وحـواصـل الطير، ولئن أظهـرني الله على قريش لأمثلـنّ بثلاثين رجلاً منهم ، وقال المسلمـون : لنمثلن بهم مُثلة لم يمثلها أحد من العرب ، فأنزل الله في ذلك :

﴿**وان عاقبتـم فعاقبوا بمثـل ماعوقبتـم به**﴾ الآية ، فعفـا رسول الله ﷺ ، وصبر ونهى عن المثلة .

وهذه الآية التي ذكرها ابن الأثير هي بتمامها كالتالي :

﴿**وان عـاقبتم فعـاقبـوا بمثل مـاعوقبتـم بـه ولئن صبرتـم لهو خير للصابـرين . واصبر وماصبرك إلا بـالله ولاتحزن عليهم ولاتك في ضيـقٍ مما يمكرون**﴾ (من سورة النحل الآيتان ١٢٦-١٢٧) .

فالعدل في هـذه المعاملة هو أن تكـون المعاقبة بالمثـل ، أي أن يمثل المسلمـون بقتلى المشركين ، كما مثّل المشركـون بقتلى المسلمين ، غير ان الله سبحـانه أرشـدهم إلى مـا هو أفضـل ، إلى ما يليـق بأخـلاق المسلمين ، فامتثلوا لأمره سبحانه ولم يقابلوا أعداءهم بمثل صنيعهـم .

وقد وردت آيات عدة تشير إلى المقابلة بالمثل ، وذلك في قوله تعالى :

﴿**وقاتلـوا في سبيل الله الـذين يقـاتلونكـم ولاتعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾ (سورة البقرة الآية ١٩٠) ، بمعنى أن يقاتل المسلم من يقاتله ، مـع التنبيه إلى عـدم الاعتداء ، أي إلى عـدم تجاوز الحدود التـي يرسمهـا

وأكثرها أوقافاً هي المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى.

وإن من أكبر الأوقاف في العالم الإسلامي كانت أوقاف الحرمين الشريفين، كما غطت الأوقاف كثيراً من دور العلم ومكتباتها، والعاملين فيها، كذلك شملت الناحية الصحية، فأشادوا المستشفيات التي كانت تعرف باسم «البيمارستانات» ودور العجزة والمنقطعين وأبناء السبيل.

يارسول الله إني اصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالا قط هو أنفس عندي منه، فما تأمرني؟

قال: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها. قال: قال: **فتصدق بها عمر: إنه لايباع أصلها ولايبتاع ولايورث ولايوهب. قال: فتصدق بها عمر في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وابن السبيل وفي سبيل الله، والضيف، ولاجناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متمول فيه**». (متفق عليه).

قال الامام الترمذي: العمل على هذا الحديث عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، وغيرهم، لانعلم بين أحد من المتقدمين منهم في ذلك اختلافاً.

ووقف عثمان بن عفان رضي الله عنه بئر رومة في المدينة، وكان لا يشرب منها أحد إلا بثمن، فابتاعها وجعلها للغني والفقير وابن السبيل، وهي كائنة شمال مسجد القبلتين بوادي العقيق، وماؤها عذب لطيف في غاية العذوبة واللطافة، تسميها العامة بئر الجنة، لترتب دخول الجنة لعثمان على شرائها، ويروى أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس فيها ماء يستعذب غير بئر رومة، فقال رسول الله ﷺ: من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة، فاشتراها عثمان وجعلها للمسلمين. (تحفة الأحوذي ج١٠ ص١٩٠).

وقد استدل من هذا الحديث على جواز وقف السقايا وخروج الموقوف عن ملك الواقف، حيث جعل ملكه فيها مع غيره سواء.

ثم توالت أوقاف الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يومنا هذا.

صلاح الفرد والمجتمع:

أما الولد الصالح، فهو الفرد المسلم الذي تحرص الأمة على تنشئته ليكون اللبنة المثلى في هيكل الأمة العام، وهو أمل كل والد في ان يكون ابنه كذلك، وهو دعوة مستمرة ونداء لا يتوقف، لكل مواطن يرغب في صلاح أمته، بأن يبدأ بصلاح نفسه ثم بمن يعول، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.. والولد الصالح هو استمرار وامتداد لأبويه.. فينتفعان بصلاحه، لأنه من آثارهما.. وإن صلاح الولد، هو صلاح للمجتمع، لأن الصالح لا يرضى بالفساد ولا يسكت عنه.. وإذا ما تعدد الصالحون، وكثروا في الأمة. ضمنت لنفسها استمرار الرفعة والازدهار.

ومفهوم الصلاح في الإسلام، هو أن يكون الفرد نافعاً لأمته في الشيء الذي تخصص فيه وانصرف إليه، وبذلك تكسب الأمة عضواً نافعاً يدعو إلى الخير ويحققه بنفسه، ويتجنب الشر ولا يرضى به ويعمل على إزالته.. وقد جعل الله وراثه الأرض قصراً على عباده الصالحين فقال سبحانه:

﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾.

بداية الوقف وانتشاره:

ورد في كتب السيرة أن «مخيريق» كان يهودياً، قاتل مع المسلمين في غزوة أحد، وفاء للعهد الذي أخذه رسول الله ﷺ على اليهود، وقد قال لهم «مخيريق»:

يامعشر يهود، لقد علمتم ان نصر محمد عليكم حق، فقالوا: ان

خير يخلفها الإنسان بعد وفاته .

من الناحية الاقتصادية :

إن هذه الأمور الثلاثة متماسكة متلازمة ، لأن السخاء بالمال يطهر النفس ويزكيها ، ويشجع الآخرين على عمل الخير تأسياً بمن سبقهم في هذا الطريق . . كما يكثر من السيولة النقدية بين الأيدي فتنتعش الحركة الاقتصادية ويعم الرخاء الجميع . . وتزدهر البلاد وتقوى . وهذه أمور ملموسة ، لأن قبض الأيدي عن الإنفاق يساعد على وقف السيولة النقدية ، فتنشأ الأزمات الاقتصادية وتتأثر الأمة بمجموعها من ذلك .

ولهذا نجد الإسلام يكثر من الحض على إنفاق المال ، ويحذر من إمساكه ، ويتوعد الكانزين بعذاب النار ، لما للإنفاق من آثار حميدة على الأمة أفراداً وجماعات . . وإن مال الانسان هو ما يقدمه بين يديه ، لأن مايبقيه بعد وفاته هو مال وارثه . . لقوله ﷺ :

«أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا : يارسول الله ، مامنا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه . قال : فإن ماله ماقدّم ، ومال وارثه ما أخّر» .

من الناحية التعليمية :

إن العلم الذي ينتفع به ، هو الذي دعا إليه الإسلام ورفع به منزلة العلماء ، ولم يقصره على نوع محدد ، وإنما عرّفه بالنفع فقال : أو علم ينتفع به . . وهذا الاطلاق لاحدود له . . مادام يحقق نفعاً للأمة .

وهذه الأمور الثلاثة تتناول حقائق اجتماعية لها تأثيرها المباشر على أفراد الأمة، كما أن لها تأثيرها على مستقبلهم أيضاً.

فالصدقة الجارية هي نوع من أنواع الإنفاق الذي يدعو إليه الإسلام ويحض عليه، غير أنها تمتاز عن الإنفاق الفوري، بكونها مستمرة النفع، باستمرار وجود عينها صالحة للاستثمار.

والإنفاق، وهو طريق من طرق توزيع الثروة، يعد من أبرز الأمور الاقتصادية، وإن استمرار أجر الصدقة باستمرار جريانها في حياة الإنسان وبعد وفاته، يشجع الفرد على الاستكثار منه.. وهذا ما دفع بالسلف الصالح إلى المسارعة في حبس كثير من أموالهم ووقفها في وجوه البر والاحسان، وكان ذلك أصل فكرة الوقف ومنطلقها.

وإن استمرار جريان الصدقة، فيه تخليد لذكر صاحبها وإحياء لاسمه.. وهذه ناحية نفسية ترتبط بحب الذات الغريزي.. ولا تتعارض مع الأصل الذي انبثقت عنه، وهو التقرب إلى الله ابتغاء مرضاته.

وما الخير في طول الحياة إذا امرؤ   مضى ثم لم تذكر بخير عواقبه

ويقول عليه الصلاة والسلام:

«من سنّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً. ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً» (رواه الامام مسلم).

وثاني هذه الأعمال التي لاينقطع نفعها، وتعود على صاحبها بالأجر

لأنفسكم مـن خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجـرا ، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ (سورة المزمل الآية ٢٠).

وهذا و إن كـان قرضاً حسناً لله سبحـانه من حيث القبـول ، فهو في الحقيقة خير يعود على المجتمـع بأسره ، لأن الخير يعم عند فعلـه ، وكذلك الشر يعم عند فعله ، وتقديم الخير هو لأنفسنا كما قال تعالى :

﴿فاتقـوا الله مااستطعتـم واسمعوا وأطيعـوا وأنفقوا خيراً لأنفسكـم ومن يوق شـح نفسه فأولئك هـم المفلحون . إن تقرضوا الله قـرضاً حسناً يضـاعفه لكـم ويغفر لكـم والله شكور حليـم﴾ (سورة التغـابن الآيتـان ١٦/ ١٧).

ويقول عليـه الصلاة والسـلام : «إنّ الله يقبل الصـدقة ويـأخذهـا بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحـدكم مهره ، حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد» . (رواه الامام الترمذي).

وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل :

﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عـن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله تواب رحيم﴾ (سورة التوبة الآية ١٠٤).

ويقول الرسول في حديث آخر:

«من تصدق بعـدل تمرة من كسب طيب- ولا يقبـل الله إلا الطيب- فإن الله يتقبلهـا بيمينه ثـم يربيها لصـاحبها كما يربي أحـدكم فلـوّه حتى تكون مثل الجبل» (رواه الامام البخاري)[1].

ويقول ايضاً :

«مثل البخيل والمتصـدق كمثل رجلين عليهما جُنتان من حـديد قد اضطـرت أيـديهما إلى ثـدييهما وتـراقيهما ، فجعـل المتصـدق كلما تصـدق

(١) بعدل تمرة : أي بما يعادل وزنها ، الفلوّ : المهر الصغير .

[illegible]
[illegible]

(٨٨ [illegible]) [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

(٣١١-٥١١)
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

(٧٣ [illegible]) [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٣٨-٥٨).

[illegible]

- **ما نقص مال من صدقة .**

- **ومازاد الله عبداً بعفو إلاّ عزاً**

- **ومن تواضع لله رفعه .** » (رواه الامام أحمد) .

وعن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال :

- «**من سره أن يشرف لـه البنيان وترفع لـه الدرجات فليعف عمّن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه**» .

وهذه جميعها من باب الفضل الذي امتازت به الشريعة الإسلامية السمحة .

ومن مستلزمات الخلق الحسن ، أن لا يتفوه الإنسان إلا بالقول الحسن ، وأن لا يكون رده على من أساء إليه إلا بالإحسان إليه ، وهذا مالخّصه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله :

«**ماعاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه**»

وقد قيل : ماعوقب الأحمق بمثل السكوت عنه .

٣- حسن الخلق

امتدح الإسلام حسن الخلق، فقال رسول الله ﷺ:

- «**إن خيرما أعطي الناس خلقٌ حسن**» (رواه الامام أحمد).

«**كما أن أفضل شيء في الميزان الخلق الحسن**» (رواه الامام أحمد).

وقد سئل رسول الله ﷺ:

- أي الإيمان أفضل؟ قال: «**خلق حسن**» (رواه الامام أحمد).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً**» (رواه الامام البخاري).

إلى آخر ماجاء في هذا المعني من أحاديث، وإن أعظم وسام حمله إنسان قول رب العالمين لرسول الله ﷺ:

﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ (سورة القلم الآية ٤).

وان امتداح الإسلام لحسن الخلق يؤكد على ضرورة تخلق الفرد المسلم بما يرتفع به إلى هذه المرتبة الخيرية.. لأن الذي يتخلق بالأخلاق الحسنة يرتفع بنفسه عن الصغائر، ويكون أقرب إلى التسامح والعفو، وقد امتدح الله سبحانه الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. ﴿**الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش وإذا ماغضبوا هم يغفرون**﴾

أي أن سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس وليس الانتقام منهم.. وان الشديد ليس ذاك الذي يقوى على الناس فيصرعهم، وإنما الذي يملك نفسه عند الغضب.. ويتجاوز عن الإساءة ويضيف

فهذا أمر من الله سبحانه في إنظار المعسر الذي لايجد وفاء، وإلزامٌ لدائنه بالصبر عليه، وهو من العدل الذي حرص التشريع الإسلامي على إقراره، لأن الدائن معلق في ذمة مدينه، وليس عليه إلا أن يكون لديه مال فيوفيه حقه منه. علماً أن (**مطل الغني ظلم**) «متفق عليه» وأن «**تسويف الواجد يحل عرضه وعقوبته**». بمعنى أن الذي لديه وفاء دينه ويسوف في ذلك أو يمتنع فإنه ظالم يحل لدائنه أن يقاضيه وأن ينال منه بالقول من أنه يأكل أموال الناس بالباطل، إلى غير ذلك من النعوت التي يستحقها مادام ممتنعاً عن وفاء دينه وهو قادر على ذلك.

أما ماكان عليه عمل أهل الجاهلية من أن يبيع الدائن مدينه فقد حرمه الإسلام وألزم المدين دينه متى ما توافر لديه منه شيء. وشدّد الإسلام في أمر الدين وألزم بوفائه دون إبطاء، لقوله ﷺ بهذا الصدد إنه يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين.

كما كان عليه الصلاة والسلام عندما يؤتى بجنازة ليصلي عليها، فيسأل: هل عليه دين؟، فإن قيل: عليه دين، قال: صلوا على صاحبكم، عندها قد يتقدم أحدهم فيقول: دينه عليّ يارسول الله، فيصلي عليه.

وهذا كله تشديداً في أمر الدين وحضاً على وجوب إبراء الذمة منه.

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن إنظار المعسر إلى ميسرة عدل وواجب.

أما قوله سبحانه: ﴿**وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ فهذا فضل مستحب مندوب إليه، من فعله أثابه الله ورفع درجته، ومن تركه

فمن هذه الأحاديث يتبين لنا أن المرغوب فيه أو المندوب إليه هو حسن قضاء الدين، أي جواز الوفاء بما هو أفضل، إذا لم يكن بين المتعاقدين شرط يوجب ذلك، فيحرم عندئذ.

وعن ابن قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال :

- جاء رجل إلى رسول الله فقال : يارسول الله ، أرأيت إن قتلت في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، يكفّر الله عني خطاياي؟

فقال رسول الله ﷺ: **«نعم . فلما أدبر ناداه أو أمر فنودي فقال له رسول الله ﷺ : كيف قلت؟ ، فأعاد عليه قوله ، فقال النبي ﷺ : نعم ، إلّا الدَيْن . كذلك قال جبريل»** . (أخرجه الامام مسلم)

وعن محمد بن جحش أنه قال :

- كنا جلوسا في موضع الجنائز مع رسول الله ﷺ، فرفع رأسه في السماء ، ثم وضع راحته على جبهته فقال : **«سبحان الله ماذا أنزل من التشديد؟ فسكتنا وفرقنا ، فلما كان الغد سألته : يارسول الله ماهذا التشديد الذي نزل؟ قال : في الدَيْنِ ، والذي نفسي بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ثم أحيي ، ثم قتل ثم أحيي ، ثم قتل وعليه دَيْن ، ما دخل الجنة حتى يُقضى عنه»** . (أخرجه النسائي وصححه الحاكم) .

وقد جعل التشريع الإسلامي ثواب القرض أكثر من ثواب الصدقة لما ورد في قول الرسول ﷺ :

- **«رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً : الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر، فقلت : ياجبريل ، مابال القرض أفضل من الصدقة؟**

قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض إلّا من حاجة» . (رواه ابن ماجة) .

وأن من استقرض شيئاً فرده وأحسن ، أو أكثر من غير شرط ، كان محسناً . لما رواه أبورافع مولى رسول الله ﷺ أنه قال :

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

٣- ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟

إن هذه الآية الكريمة نزلت على التحقيق في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حين حلف أن لا ينفع (مسطح بن أثاثة) بنافعةٍ أبداً، بعد ماقال مسطح في السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ماقال في حادثة الإفك التي اختلقها المنافق الكبير (عبدالله بن أبيّ بن سلول) وجاراه فيها بعض المسلمين منهم مسطح المذكور.

ومسطح هذا هو ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان مسكيناً لا مال له، إلا ماينفق عليه أبوبكر رضي الله عنه، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها وضرب عليها الحد.

وكان الصديق رضي الله عنه مشهوراً بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب، وعلى الأجانب، فلما نزلت هذه الآية:

﴿**ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله، وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**﴾ (الآية ٢٢ من سورة النور).

عند ذلك قال الصديق: بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا ياربنا، ثم أرجع إلى مسطح ماكان يصله من النفقة، وقال والله لا أنزعها منه أبدا[١]

إن هذا التوجيه الكريم من الله سبحانه لعباده الذين وسع الله

(١) انظر تفسير ابن كثير ج٣ ص٢٧٧.

[illegible]

٢- ما ترون أنّي فاعل بكم؟

إن موقف قريش من رسول الله ﷺ- قبل إسلامهم- وهو يبلغهم رسالات ربه، موقف المعادي للدعوة والداعية، فنالوا منه ومن أصحابه ماجعله يقترح على من آمن معه أن يهاجر، من شاء منهم، إلى الحبشة، لأن فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده حتى يجعل الله لهم فرجاً ومخرجاً مما هم فيه..

ولما رأت قريش أن الإسلام يفشو ويزيد، وأن من أسلم من أبنائهم ونسائهم لا يردهم عن دينهم شيء، من قتلٍ أو تعذيب، ائتمروا في أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على مقاطعة كل من يناصر الرسول ﷺ بأن لا ينكحوا إليهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئاً، فكتبوا بذلك صحيفة وتعاهدوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً لذلك الأمر على أنفسهم.. فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه، فأقاموا على ذلك ثلاث سنين حتى جهدوا، لا يصل إلى أحد منهم شيء إلاّ سرّاً.. ثم قام في نقض الصحيفة نفر من قريش ساءهم ما آلت إليه حال المسلمين..

وبعد خروجهم من الشعب بقليل توفيت السيدة خديجة رضي الله عنها، ثم توفي أبوطالب، فعظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بموتهما فقال رسول الله ﷺ: **«ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبوطالب»**.

عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين. اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين قال قائل منهم: لاتقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾(٨/ ٩).

وهكذا تم إبعاد الطفل يوسف عن أبيه بإلقائه في قعر إحدى الآبار دون ان يعلموا أنهم بفعلهم هذا قد فتحوا له طريقاً- قدرها الله له- ليمكنه في الأرض، وليسعى بعد ذلك إخوة يوسف إليه: وقبل التعرف عليه، طلبا للميرة من عنده وما هم في حاجة إليه، فيكرمهم يوسف غاية الإكرام ويعيد إليهم أثمان ما أخذوه من بضاعة، أي أنه لم يقابلهم بالسوء وقد أصبحوا تحت سلطانه، وإنما أراد أن يضم شقيقه إليه ومن ثم يعرفهم على شخصه وبعد ذلك يكلفهم بأن يأتوا بباقي أهلهم أجمعين.

ولما جاءوه في ثالث مرة، وقد أخذ منهم الجهد والضيق وقلة الطعام، وجد أنه قد آن الأوان ليكشف لهم عن نفسه:

﴿قال: هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون؟ قالوا: أئنك لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين﴾ (٨٩/ ٩٠).

وعند ذلك أقروا بأنهم أساءوا إليه وأخطأوا في حقه وأقسموا بالله أن الله قد فضله عليهم:

﴿قالوا: تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين﴾(٩١).

فما كان جواب يوسف عليه السلام بعد اعتراف إخوته بخطئهم في حقه إلا أن:

[illegible]

(٨) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (١)

---

(٨) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفصل الخامس: معاملة الأعداء .

١- العدالة مع الأعداء .

٢- التجاوز عن إساءات أعداء الله.

الفصل السادس: العدالة مع الزوجات والأولاد.

الفصل السابع: التكافل وآثاره الاجتماعية.

الفصل الثامن: الإحسان خلق إسلامي:

أولاً : أن تحسن إلى من أساء إليك .

ثانياً : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ثالثاً : الإحسان في كل شيء .

رابعاً : أن تحسن إلى جارك .

خامساً : الإحسان للوالدين .

ويقضون حوائجهم منها، وقد ينقلب بعض هؤلاء الفقراء إلى أغنياء، وينقلب بعض الأغنياء إلى فقراء، فيستحقون من أولئك نصيبهم المقدر في أموالهم.

وهذه الفريضة هي حق في أموال المكلفين يجب لمستحقيه، والحق هو ما يطالب به الإنسان وتنصره الدولة عليه، وهو حق لا منّة فيه، ولا يثير عند آخذه- مستحقه- أي نفور أو حرج.

ولا يجعل لمن أخرجه من ماله سلطاناً على من أخذه، لأنه حق لآخذه- أي لهذا المستحق- وليس لمن أخرجه.

وحق المال أمانة لدى صاحب المال حتى يخرجه، وبإخراجه يتطهر المال من حق الغير، وتزكو نفس مخرجه. لأن الزكاة- حق المال- إذا خالطت المال، ولم تخرج منه أفسدته.

البحث السادس :

العدل في فريضة الزكاة جباية وتوزيعاً

الزكاة فريضة مالية دورية محددة المقدار (أو النصاب) في الأموال النامية، وتتسم بالدوام والثبات، وهي ركيزة كبرى من ركائز النظام المالي في الإسلام، تقوم على جبايتها الدولة امتثالاً لأمره تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ (سورة التوبة الآية ١٠٣)، وتضعها في المصارف التي حددها رب العالمين بقوله:

﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**﴾ (سورة التوبة الآية ٦٠).

وإذا لم تقم الدولة بجبايتها- لسبب من الأسباب- فلابد من أن يخرجها المكلف ويضعها في أحد المصارف المذكورة آنفاً، ولا تبرأ ذمته منها إلا بذلك.

وهذه الفريضة واجبة في المال، فيما إذا زاد على النصاب المحدد شرعاً[١]

وتجب الزكاة في المال (النقدي) وفي عروض التجارة وفي الأنعام مرة في العام، وتجب في الزروع والثمار عند جزازها أو قطفها.

ويجب ان يتم إخراجها عند استحقاقها، كما يصح تعجيلها قبل حلول الأجل في الأثمان وفي عروض التجارة.

---

(١) النصاب : في الابل، مادون الخمسة ليس فيها شيء وإذا بلغت خمسة فيها شاة ومازاد بحسابه.

التي تقوم بتسمية العاملين على جباية الزكاة.

وكلمة (أموالهم) تفيد جميع ما يمتلكونه مما يطلق عليه اسم مال فيما إذا زاد على النصاب المعفي الذي به يتحقق معاش المكلف وأسرته أو من يعوله..

وشمول الزكاة لجميع الأموال يعطي وارداً كبيراً للدولة ينحصر إنفاقه في المصارف التي تعددها الآية التالية من سورة التوبة:

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (الآية ٦٠)

ومن استعراض هذه المصارف يتبين لنا أنها تخصصت بمن هم أكثر عوزاً وحاجة من غيرهم، وأن تغطية حاجاتهم الضرورية إلى حد الكفاية فيه تحقيق لمعنى التكافل والتوازن الذي ينشده الإسلام في نظامه المالي، وأن هذه الفرضية من الله سبحانه لا تشعر هذا الفقير أو المسكين أو الغارم أو ابن السبيل بأي غضاضة عليه، لأنه في الأصل- وهو ما يجب أن يكون عليه الحال- لا يستلمها من شخص معين، وإنما تأتيه عن طريق الدولة، راعية شؤون الأمة جميعها، وهي ليست منّة تمنّ بها الدولة عليه، وإنما هي حق له عملت الدولة على جمعه ممن كان في حوزته وأوصلته إليه..

وهي حافز كبير على رفع مستوى المعوزين، ودافع إلى الاستعداد للكسب وابتغاء فضل الله.. فيما إذا كانوا غير عاجزين عن الكسب، وإنما لم تكن مواردهم كافية لتغطية نفقاتهم، أو أنهم لم يجدوا عملاً يغنيهم عن قبول الزكاة..

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

البحث الرابع :

العدالة في توزيع الميراث

الميراث : من ورث يرث إرثاً وميراثاً . والإرث : هو مايخلفه الميت من مال وغيره لورثته ، أي لأهله الأقربين الذين لهم حق فيما خلفه ، أو تركه بعد وفاته . ولذلك سميّ الارث : تركة .

والوارث : من أسماء الله الحسنى ، أي الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم ، يقول سبحانه :

﴿**ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير**﴾ (سورة آل عمران الآية ١٨) .

ويقول أيضاً :

﴿**إنّا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون**﴾ (سورة مريم الآية ٤٠)

وهو سبحانه : خير الوارثين .

وقال الله تبارك وتعالى إخباراً عن زكريا ودعائه إيّاه : ﴿**فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا**﴾ (سورة مريم الآيتان ٥/ ٦)

وقال تعالى : ﴿**وورث سليمان داود**﴾ (سورة النمل١٦) .

وإرث الأنبياء لايكون في المال ، وإنما في النبوة لقوله ﷺ :

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] : [illegible] :

: [illegible]

0– [illegible] –0

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والقرآن للشريعة الإسلامية، كالدستور للشرائع الوضعية لدى الأمم، وهو القدوة للنبي ﷺ نفسه، ومن بعده، ولذا كان المصدر التشريعي الأصلي.

غير أن الكتاب بصفته الدستورية إنما يتناول بيان الأحكام بالنص الإجمالي ولا يتصدى للجزئيات وتفصيل الكيفيات إلا قليلاً، لأن هذا التفصيل يطول به ويخرجه عن أغراضه القرآنية الأخرى من البلاغة وغيرها.

فقد ورد فيه الأمر، مثلاً، بالصلاة مجملاً، ولم ترد فيه كيفية ولا مقادير، بل فصلتهما السنة بقول الرسول ﷺ وفعله.

وكذلك أمر القرآن بالوفاء بالعقود، ونص على حل البيع وحرمة الربا إجمالاً، ولكن لم يبين ما هي العقود الصحيحة التي يجب الوفاء بها. وما هي العقود الباطلة أو الفاسدة التي ليست محلاً للوفاء فتكفلت السنة أيضاً ببيان أسس هذا التمييز.

على أن القرآن قد تناول تفصيل جزئيات الأحكام في بعض الموضوعات، كما في المواريث والمحارم من النساء في النكاح، والحدود..

(ب) أما السنة:

فهي تطلق على ماجاء منقولاً عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وهي تلي الكتاب رتبة في مصدرية التشريع، من حيث إن بها بيان مجمله وإيضاح مشكله وتقييد مطلقه وتدارك ما لم يذكر فيه.

فالسنة مصدر تشريعي مستقل، لأنه قد يرد فيها من الأحكام مالم يرد في القرآن، غير أن هذا الاستقلال لا يخرجها عن مبادىء القرآن

للعبادة المشروعة التي تذكره بخالقه، وبعقيدة الثواب والعقاب في الآخرة، لكي يكون المؤمن في مراقبة دائمة لأعماله، حريصاً على عدم التقصير في واجباته.

ثالثاً: إصلاح المجتمع:

أي إصلاح الحياة الاجتماعية بصورة يسود فيها الأمن والرخاء والعدل بين الناس وصيانة الحريات ضمن حدودها المشروعة مع المحافظة على الكرامة الإنسانية.

ولتحقيق هذا المقصد الاجتماعي الأخير، جاءت الشريعة الإسلامية بنظام نموذجي يتضمن جميع الأسس اللازمة لإقامة حياة اجتماعية مثلى، ضمن إطار الدولة وتنظيم صلات الناس بعضهم مع بعض، وصلاتهم بالسلطة الحاكمة، وصيانة الحقوق الخاصة للأفراد، والحقوق العامة للجماعة.

من هذه المقاصد الثلاثة في الشريعة الإسلامية يتضح لنا أنها تقوم على ثلاث دعائم:

١ – عقيدة عقلية.

٢ – وعبادة روحية.

٣ – ونظام قانوني قضائي.

وهذا هو المعنى المراد عندما يقال: ان الإسلام دين ودولة.

هذا ويجب التفريق بين النظام والتطبيق، إذ لا ينكر أنه في الواقع العملي والتاريخي كثيراً ما يساء فهم الحقيقة الإسلامية في بعض هذه

[illegible]

والنهي عن المنكر فإن السلامة تكون عاقبة الأمة في أمورها كلها، وإذا ماتخلت عنها أو أساءت في تطبيقها انعكست آثار ذلك على الأمة فذاقت عاقبة مخالفتها لأوامر الله .

ولنقرأ قوله تعالى محذراً ومنذراً :

﴿واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال الآية ٢٥) .

وقد وردت هذه الآية بعد قوله تعالى :

﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وإنه إليه تحشرون﴾ (الآية ٢٤) .

وإن عدم الاستجابة لله وللرسول يؤدي إلى فتنة لاتقتصر على فاعليها، وإنما تعم الجميع وتشملهم كلهم لأنهم لم يأخذوا على أيدي الذين ظلموا فعمهم الله بعقابه، وسيحشرهم إليه على نياتهم ويكافئهم على ماعملوا إن خيراً فخير وان شراً فشر.

٢- وأمر عمر رضي الله عنه في تدوين الدواوين على اختلاف مسمياتها.

٣- وأمر عثمان بجمع الناس على مصحف واحد. .

وهذه الأمور وأمثالها لها صفة التشريع الملزم للرعية، ويوجب معاقبة من يخرج عليه أو يخالفه.

وهكذا الشأن في جميع مايصدر عن ولاة الأمر من أوامر تأخذ صفة الشمول والعموم في تنظيم بعض مصالح الناس التي لا تتحقق إلا بها، وذلك مثل وضع نظام السير (المرور) في عصرنا الحاضر، فإن الامتثال لهذا النظام يحقق مصلحة لاشك فيها، وإن كل مخالفة له تؤدي إلى مفسدة قد لا تقتصر على فاعلها وإنما تتعدى إلى الآخرين.

وهكذا كل نظام يصدر عن وليّ الأمر تقتضيه مصلحة الجماعة هو من الأمور التنظيمية التي يحق لوليّ الأمر النظر فيها وإصدار مايراه من توجيهات أو أوامر ليلتزم بها الناس في هذا الخصوص.

٧- وجوب سهر الأمة على رعاية مصالحها:

إن القاعدة الكلية تنص على أن الحكم على الرعية منوط بالمصلحة، وحيثما توجد المصلحة فثمّ شرع الله ودينه، وإن مصالح العباد هي الغاية المقصودة من تشريع الأحكام.

غير ان الذين يتولون الحكم هم من البشر، وقد ينتابهم ماينتاب

رجالات قريش للإسلام(١).

فالرسول ﷺ بهذه الصفة مرجعه الله سبحانه الذي لا يقره على خطأ وبخاصة في الأمور التي لها آثارها البعيدة في ترسيخ العقيدة وانتشارها بين الناس.

أما خلفاؤه من بعده، فإنهم يختلفون عنه ﷺ في أنهم عند وقوع التنازع على أمر بينهم وبين رعاياهم، يجب عليهم أن يرجعوا إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه ليستمدوا طاعتهم الخاصة بهم من طاعة الله وطاعة رسوله. لأن ولاة الأمر لم ترد لهم طاعة خاصة مستقلة بهم، وإنما طاعتهم تأتي تبعاً لطاعة الله وطاعة رسوله، فهم كباقي أفراد الشعب مقيدون بالتزام أوامر الله المبينة في كتابه وأوامر رسوله المفصلة في سنته.

لقوله سبحانه في سورة النساء:

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ (الآية ٥٩).

فهذه الآية أوجبت، عند وقوع التنازع على أمر أن نرده إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله.

فالقول الفصل في ذلك أن خلفاء الرسول ﷺ في ولاية الأمر يرجعون إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله. فلابد لهم من معرفة الأحكام

(١) لقوله تعالى: ﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. ومايدريك لعله يزّكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى. أما من استغنى. فأنت له تصدى. وماعليك ألا يزّكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى. فأنت عنه تلهى﴾ سورة عبس الآيات ١/ ١٠.

(٢) انظر كتاب (الكامل في التاريخ) ج٢ ص ٢٢٥.

(أ) النهي عن الدخول إلى أرض ظهر فيها الطاعون والخروج منها[١] .

وهذا أمر تنظيمي وقائي يستفاد منه حصر المرض في مكانه والحيلولة دون انتشاره وهو من باب السياسة الشرعية في الأمور الصحية .

(ب) النهي عن ادّخار لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام ثم أمره في السنة التالية بالادخار بعد زوال العلة المانعة .[٢] .

وهذا أمر إداري يراد منه التوسعة على المحتاجين الوافدين إلى المدينة قبيل عيد الأضحى الذي صدر فيه هذا الأمر، وهو من باب السياسة الشرعية في الأمور التموينية .

(ج) قبول افتداء الأسرى أنفسهم، ممن ليس لديه مال، بتعليم عشرة من أبناء المسلمين[٣] الكتابة .

وهذا أمر إداري أيضاً فيه إرشاد إلى ضرورة محو الأمية بين أبناء المسلمين، وهو من قبيل السياسة الشرعية في الأمور التعليمية .

---

(١) عن أسامة بن زيد قال : « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها» رواه الامام البخاري وأخرج أيضاً عن عبدالرحمن بن عوف مثله .

(٢) عن سلمة بن الأكوع قال : قال النبي ﷺ : من ضحّى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وفي بيته منه شيء». فلما كان العام المقبل قالوا : يارسول الله نفعل كما فعلنا العام الماضي؟ قال : كلوا وأطعموا وادّخروا، فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها» رواه الامام البخاري . وفي رواية للامام مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : دفّ أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى، زمن رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ادخروا ثلاثاً ثم تصدقوا بما بقي» فلما كان بعد ذلك قالوا، يارسول الله إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم ويحملون فيها الودك، فقال رسول الله ﷺ : وماذاك؟ قالوا : نهيت أن تؤكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث . فقال : إنما نهيتكم من أجل الدافّة التي دفّت فكلوا وادخروا وتصدقوا» .

(٣) كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة» رواه الامام أحمد .

﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (سورة الأعراف الآية ١٥٧).

وإن الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله يجب على المسلمين قتالهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، لقوله سبحانه في سورة التوبة:

﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾ (الآية ٢٩).

وكذلك يجب على المسلمين الأخذ بما يأمر به الرسول والانتهاء عما نهى عنه لقوله تعالى في سورة الحشر:

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ (الآية ٧) وهذه الآية تفيد معنى الشمول في الأمر والنهي وإن كان سبب نزولها لقضية خاصة.

فالمشرّع في الإسلام هو الله سبحانه مالك الأمر كله ورسوله المصطفى بتفويض الله له.

٤- هل لغير الله وغير رسوله حق التشريع:

إن الله سبحانه وتعالى هو المشرع الأول الذي أنزل على محمد ﷺ الكتاب متضمناً أحكام الدين، وأمره بتبليغه للناس، وتبيان الأحكام لهم.

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الأمرين، وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب، فكانت الفرائض أكمل. فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقريباً، وأيضاً فالفرض كالأصل والأس، والنفل كالفرع والبناء، وفي الاتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الآمر وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل، والذي يؤدي الفرض قد يفعله خوفاً من العقوبة، ومؤدى النفل لا يفعله إلا ايثاراً للخدمة بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته».

وقال الفاكهاني:

«معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى».

وقال ابن هبيرة:

«إن النافلة لا تقدم على الفريضة، لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة، ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب».

٢- الصلاة:

أما الصلاة فإنها فريضة يجب على المسلم أداؤها في أوقاتها، وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى ذلك منها قوله تعالى:

﴿**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا**﴾ (سورة النساء الآية ١٠٣).

وفي قوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**﴾ (سورة البقرة ٤٣).

وفي قوله سبحانه: ﴿**وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله**﴾ (سورة الأحزاب٣٣).

وقد سئل النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟

قال: الصلاة على وقتها. (رواه البخاري)

وأن أداء هذه الفريضة هو من العدل الذي يؤاخذ عليه فاعله إن قصر فيه، أي أن الإخلال بالصلاة المفروضة يوجب العقوبة. فالذي لا يتم ركوعها ولا سجودها تكون صلاته مردودة عليه.

أما صلاة النافلة (صلاة التطوع) فهي من باب الفضل الذي يعود على فاعلها بالخير المحقق. ومن ذلك أنها تجبر الصلاة المفروضة أو تكون له ذخراً يوم القيامة، والتقرب بها إلى الله سبحانه يزيد في حب الله له.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

3 — [illegible]

[illegible]
٨٨ [illegible] (١)

[illegible] (٣٠ [illegible]) [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] (٨٨٨ [illegible]) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] (٥٣ [illegible]) [illegible]
[illegible]

[illegible] (٩٨ [illegible]) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(٧٨ [illegible]) [illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible] (١)

٣- شريعة الفضل

تفضل الله سبحانه على عباده، والله ذو الفضل العظيم، فوجههم إلى مافيه خيرهم وصلاحهم، وحذرهم من مخالفة أمره، لأن المخالفة عن أمره فيه هلاكهم المحقق.. وأثاب على فعل الخير أضعافاً مضاعفة، وحدد جزاء السيئة بمثلها، حتى إنه سبحانه زيادة في فضله وإحسانه، جعل من يهم بحسنة ولا يفعلها تكتب له حسنة، وإذا فعلها تتضاعف إلى عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، وإلى أضعاف كثيرة[١]، وانه إذا همّ بسيئة ولم يفعلها كتبت له حسنة.. وزاد سبحانه في فضله على من ينفق في سبيله، بأن ضاعف الثواب أيضاً كما ضاعفه في الحسنات[٢].

ومن فضل الله سبحانه على عباده أن من عصاه وأفرط في عصيانه، إذا تاب وارتجع يغفر الله له ذنوبه، على ماكان منه، ولو كانت مثل زبد البحر.

---

(١) يقول سبحانه في تنزيله العزيز: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لايظلمون﴾ (الأنعام ١٦٠). ويقول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه: ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة» (رواه الامام البخاري).

(٢) يقول الله تبارك وتعالى في سورة البقرة: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ آية ٢٦١.

وقد روى الامام أحمد في مسنده عن معقل بن يسار رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال :

«ليس من ولي أمة ، قلت أو كثرت ، لايعدل فيها إلا كبّه الله تبارك وتعالى على وجهه في النار» .

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العدل والتحذير من التفريط فيه :

«ويل لديّان من في الأرض من ديان من في السماء يوم يلقونه ، إلاّ من : أمر بالعدل ، وقضى بالحق ، ولم يقض على هوى وقرابة ، ولا على رغب ورهب ، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه»(١)

ويقول الامام ابن تيمية : (٢)

«ولهذا قيل : إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولايقيم الظالمة وإن كانت مسلمة . ويقال : الدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والإسلام . وذلك أن العدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بعدلٍ قامت ، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق ، ومتى لم تقم بعدل لم تقم ، وإن كان لصاحبها من الإيمان مايجزي به في الآخرة» .

ويقول أيضاً : (٣)

«فلابدّ من شرع يتضمن الحكم بالعدل ، ولابد مع ذلك من ندب الناس إلى العفو والأخذ بالفضل . . فإيجاب العدل يقترن به الترهيب

---

(١) من كتاب (اعلام الموقعين) لابن القيم ج١ ص٣٧ .
(٢) من كتاب (الحسبة) لابن تيمية ص ٩٤ تحقيق عبدالعزيز رباح .
(٣) من كتاب (الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح) لابن تيمية ج٣ ص٢٥٤ و٢٥٦ .

[illegible] « [illegible] » : [illegible]
[illegible] –

(٧ [illegible]) « [illegible]
[illegible]
[illegible] »
[illegible] :

(١٨٥ [illegible]) « [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] »
[illegible] :
[illegible] –
(٧٥ [illegible]) « [illegible] » « [illegible] »
[illegible] :

(٨٤ [illegible])
« [illegible] »
[illegible] :

[illegible]
[illegible]
[illegible]

(٥١ [illegible]) « [illegible]

وكافأ عليه، لأن إيجاب العدل فيه إقرار للمساواة بين الطرفين، أوردٌ للمظالم والحقوق. . وليس فيه فضل من أحد على آخر، لأنه ملزم للطرفين، فإن أخلاّ به، فعلى وليّ الأمر واجب تحقيق العدالة بينهما، فإن حصل تفريط، أو حال دون تطبيق العدالة حائل، فإن الله سبحانه وتعالى سيتولى ذلك عندما يضع الموازين القسط للناس.

والفضل لا يكون إلا بعد استواء الطرفين بالحقوق، وتمكنهما من ذلك، فيتجاوز أحدهما هذا المستوى بالعفو أو بالإيثار أو التسامح بعد العفو عمن أساء، أو قصّرت به إمكاناته. .

فالشريعة الإسلامية أمرت بتطبيق العدل وحذرت من عواقب التفريط فيه، وندبت إلى الأخذ بالأفضل، وحضّت عليه وأثابت من يحققه في تعامله ثواباً كبيراً.

وإننا نرى في هذه الشريعة أمثلة كثيرة على تطبيق العدل والأخذ به في مختلف ميادين التعامل، حتى مع الذات، أو مع الأقربين. . كما نرى أمثلة أخرى ندبت إلى الإحسان بعد التمكن من تحقيق العدل، وهو الفضل، وشعارهم في ذلك: ادفع بالتي هي أحسن.